

أكثر الروايات
مبيعاً في العالم

ألفريد هيتشكوك دعني أهرب

FAYROUZ2006

www.dvd4arab.com



العالمية للكتب والنشر

دعنى أهرب

روائع ألفريد هتشكوك

إعداد

خليل حنا تادريس

الناشر

العالمية للكتب والنشر

خَصْمُ الشَّيْطَانِ

خضم الشيطان

إنها قصة تتم في قرى الحدود حيث تلتقى ماساشوستس بفيرمونت حقا إن 'دانيال ويست' قد مات أو هم على الأقل قد أوروه التراب ، ولكن ما من مرة تثور فيها عاصفة رعد على مارشفيلد حتى تسمعهم يقولون إنك تستطيع أن تسمع صوته يصل إليك من أجواء الفضاء ويقولون إنك إذا ذهبت إلى قبره وصحت بصوت مرتفع واضح : 'دانيال ويست' أخذت الأرض ترتجف وراحت الأشجار تترنح وسمعت بعد لحظة صوتا عميقا بجانبك 'أيها الجار كيف حال الاتحاد' .

من الخير لك أن تجيب بأن الاتحاد قائم كما كان على أرض من صخر وفي غمد من نحاس الاتحاد لا تنفضه عراه بل إنه شب ونما وازداد قوة . هكذا كان يقال لي عندما كنت صبيا .

لقد كان 'دانيال ويست' أعظم رجل في البلاد . لم يصل إلى منصب رئيس الجمهورية إلا أنه كان أعظم رجل في البلاد وكان هناك آلاف يؤمنون به بعد إيمانهم بالإله القدير ويرددون عنه

قصصا تشبه قصص القديسين والأبرار . ويقولون إنه كان إذ وقف خطيبا برزت النجوم والشهب على الفور من السماء .

ذات مرة وقف خطيبا ضد أحد الأتهار . فإذا النهر يفيض نى الأرض .

ويقولون : إنه كان إذا خرج يتمشى فى الغابة حاملا صنارته كان السمك يقفز من قنوات الماء إلى داخل جيوبه مباشرة لأنه كان يعلم أن لا فائدة ترجى من المقاومة .

وأنه كان إذا دافع عن قضية استطاع أن يستجد بمعارف القديسين والملائكة وأن يسيطر على الأرض من تحت قدميه .

هكذا كان ذلك الرجل وكانت مزرعته الكبيرة فى مارشفيلد تناسبه . وكان الدجاج الذى يربيه يصبح لحما أبيض كله إلى الرجلين ، كما كانت الأبقار ترعى كالأطفال ، وكان الكبش الكبير الذى يسميه ' جوليات ' ذا قرون ملتوية تبدد مثل كرمة مورقة . وتستطيع أن تنطح من تشاء خلال باب من حديد ولكن ' دانيال ' لم يكن واحدا من الفلاحين المتوفين فقد كان يعرف كل مشارف الأرض وكان يخرج على ضوء الشموع ليظمن إلى أن الأعمال فى مزرعته تسير وفق ما يريد وهو رجل له فم مثل فم

الكلب الكبير الحجم ، وجبين كأنه الجبل الأشم ، وعينان كأنهما
جمرتان ملتهبتان .

هكذا كان ' دانيال ويستز ' فى عنفوانه إلا أن أكبر قضية ترفع
بها لم يكن من حظها أن تدون فى الكتب ، إذا كان الشيطان نفسه
هو خصمه فيها .

وقد تعودت أن أسمعها تروى على النحو الآتى :

كان هناك رجل اسمه (جابترسيون) يعبش فى (كروس
كورترز) (بنيو هابيشاير) وما كان بادئ أمره رجلا شريرا ولكنه
كان رجلا سىء الحظ وإذا زرع قمحا أصابه السوس وإذا زرع
بطاطس أصابتها الآفات .

كان يملك أرضا واسعة ولكنها لم تكن تسعده وكانت له زوجة
طيبة وأطفال كلما ازدادوا عددا نقص رزقهم .

وكان لسوء الحظ إذا أثمرت الأحجار فى حقل جاره انتقدت
الصخور فى حقله هو وإذا اقتنى حصانا أصابته الأورام وباعه فى
مقابل حصان مختلج بعد أن يدفع فرق الثمن للبائع .

كان من أولئك السذبن قدرت عليهم المصائب . ولكن

' فجنبرسون ' ضاق في أحد الأيام ذرعا بهذا الأمر .

وفي ذات صباح كان يحرق الأرض فإذا بسلاح المحراث ينكسر
إن اصطدمه بصخرة بقسم ' جامبز ' إنها لم تكن موجودة في
الأرض بالأمس .

وبينما كان واقفا ينظر إلى سلاح المحراث بدأ أحد الحصانين
يسعل سعالا متصلا من ذلك النوع الذي ينم عن المرض ويحتاج إلى
طبيب بيطرى .

وكان للجامبز في الوقت نفسه طفلان مصابان بالحصبة وكانت
زوجته تشكو ألم المرض كما كان هو يشكو من دمل في إبهامه .
وهكذا كان كسر المحراث هو القشة التي قصمت ظهر
' جامبزسون ' فراح ينظر فيما حوله في يأس وقنوط ويقول :

« أقسم أن هذا الذي ألاقه يكفي لأن يدفع الإنسان لبيع روحه
للشيطان وإني لبائع روحى له أنا أيضا في مقابل سنتين اثنتين .

ثم تولته نوبة من الدهشة غمرته عندما قال ، رغم أنه وهو
أبناء منها جشابر .

أبى إن يرجع عما قال .

وعندما أقبل المساء ولم يلحظ أية بادرة تنبئ بأن أحدا قد سمعه وهو يناجى نفسه ، شعر بارتياح نفسى كبير فقد كان رجلا كما جاء فى الكتاب .

ففى اليوم التالى قرب ساعة العشاء جاء رجل ناعم الحديث غريب عن البلدة يرتدى ثيابا سوداء يستقل مركبة أثيقة ذات عجلتين وسأل عن ' جاميزتون ' .

وأخذ ' جاميز ' أهل بيته ، إن القادم محام جاء يقابله فى أمر يتصل بوصية .

ولكنه كان يعلم من هو ، كانت نظرة الغريب غير محبة ' لجاميز ' كما كانت طريقته فى الابتسام من بين أسنانه تدعو إلى الاشمئزاز .

كانت أسنانا بيضاء كثيرة ويقول البعض إنها كانت مسنونة ذوات أطراف حادة ، ولكن لا أستطيع أن أقطع بصدق هذا القول .

وأحس ' جاميز ' بالنفور من هذا الغريب عندما رأى كلبه يلقي عليه نظرة واحدة ثم يجرى مبتعدا عنه وهو يعوى وذيله بين رجليه . ولكن ' جاميز ' وقد قال كلمته لم يستطع أن يرجع عنها فذهب مع الغريب خلف المخزن وعقدا الصفقة فيهما .

وكان على 'جاميز ستون' أن يخرج إصبعه ليمضى العقد بتوقيعه فأقرضه الغريب ديوسا من الفضة وقد اندمل الجرح نظيفا فيما بعد وإن كان قد ترك نسي مكانه ندبة بيضاء صغيرة .

بعد ذلك وعلى حين غرة بدأت الأمور تتصلح وراح الخير ينهمل قذفا على 'جاميز' فسمت بقرائه وصحت خيوله وأصبحت محصولاته موضع حسد الجيران .

وقد يصيب البرق الوادي كله ولكنه يتحاشى مخزنه .

وسرعان ما أصبح من أكثر أهل البلاد ثراء حتى لقد طلبوا إليه أن يرشحوه نائبا عنهم . فقبل .

وجرت المشاورات بعد ذلك لترشيحه شيخا عن الولاية في مجلس الشيوخ .

ونستطيع القول بصفة عامة إن أسرة 'ستون' أصبحت سعيدة هانئة كالقطط في معمل اللبن .

هكذا كانت حال الأسرة إذا ما استثنينا منها 'جاميز ستون' نفسه .

نعم .. لقد كان سعيدا فى السنوات القلائل الأولى فإنه لشيء رائع أن يتحول عنه الحظ السيء ويخلو من رأسه معظم الأشياء التى تنفص عيشه .

حقيقة إن الندبة الصغيرة البيضاء كانت تحزه فى إصبعه من حين لآخر وخاصة عندما يكون الجو ممطرا .

وقد كان الغريب فى مركبته الأنيقة يزوره مرة فى كل عام بشكل منتظم دقيق دقة الساعة .

وظل الأمر طبيعيا حتى السنة السادسة حين جاء الغريب فجأة ثم انقضى السلام بينهما .

جاء الغريب من أدنى الحقل وهو يعابث حذاءه بعضا فى يده كان حذاء أسود أنيقا . ولكن ' جاميز ستون ' لم يرتح لمراة وبخاصة موضع الأصابع .

- حسن يا مستر ' ستون ' لقد نلت حظا رائعا فإن لك أملاكا عظيمة هنا .

فقال ' جاميز ستون ' وهو كما نعلم ' هميشا برى ' صميم .

- قد يعتبرها بعض الناس نعمة وقد يعتبرها البعض الآخر

نقمة .

فقال الغريب فى بساطة وقد أبرز أسنانه فى ابتسامة
كريمة :

- لا تهون من قيمة عملك ، على أية حال نحن نعرف ما حدث
وقد تم طبقا لعقد صحيح الإجراءات . ولهذا يجب ألا تشعر بالأسف
حين يستحق علينا الرهن فى العام القادم .

فقال ' جاميز ستون ' وهو يتلفت حوله كأنما يلتمس العون من
السماء والأرض :

- مازالت تتحدث عن هذا الرهن أيها السيد ، لقد بدأ نوع من
الشك يساورنى فى شأن موضع أو موضعين منه .

وقال الغريب فى غير ابتهاج : لا شك .

فقال ' جاميز ستون ' وقد بدا أكثر جراءة .

- نعم ، فإن هذه البلاد هى الولايات المتحدة الأمريكية . وقد
كنت أنا دائما رجلا متدينا ومن أجل هذا تساورنى فى شأن هذا
العقد شكوك كثيرة . وأعتقد أنها لن تزول إلا إذا عرضت الأمر
على المحكمة .

فقال الغريب وهو يصير بأضراره :

- إن هناك محاكم ومحاكم ، ومع ذلك فيجدر بنا أن نلقى نظرة على الوثيقة الأصلية .

وأخرج من جيبه محفظة سوداء كبيرة حافلة بالأوراق وراح يتمتم :

- شروين وسلاتر سيتفتز . ستون . أنا ' جاميز ستون ' لمدة سبع سنوات .

آه إنها قانونية تماما فيما أعتقد .

ولكن ' جاميز ستون ' لم يكن مصفيا فقد رأى شيئا يخفق في المحفظة السوداء . كان شيئا يبدو كالفراشة ولكنه لم يكن فراشة .

وفيما كان ' جاميز ستون ' يحرق في هذا الشيء خيل إليه أنه يتحدث بصوت مختنق ضئيل رفيع ولكنه إنسان إلى أبعد حد .

أيها الجار ' ستون ' أيها الجار أغثنى بالله عليك ' أغثنى ' .

ولكن قبل أن تدعى ستون أية حركة أخرج الغريب من جيبه منديلا كبيرا أمسك به هذا المخلوق الذي يشبه الفراشة كل الشبه وراح يعقد أطرافه حوله وقال :

- آسف لهذه المقاطعة كما كنت أقول ...

ولكن 'جاميز ستون' اشتملته الرجفة كحصان فاجأه الرعب ،
وقال فى سخط :

- هذا صوت مسر ستيفز وإنك تمسك به فى متديلك .

وبدا بعض الضيق على الغريب وقال وهو يبتسم ابتسامة
بلهاء :

- نعم كمان ينبغى أن أنقله إلى صندوق المجموعة ولكن
بالصندوق أنواع أكثر ندرة ولا أريد أن أزيد من ازدحامه لا بأس
.. لا بأس هذه أمور صغيرة تحدث من وقت لآخر .

وقال 'جاميز ستون' :

- أنا لا أعرف ماذا تقصد بالأمور الصغيرة ، ولكن أعرف أن
هذا صوت مسر 'ستيفز' وهو لم يمت ولا تستطيع أن تزعم لى أنه
مات . فقد كان فى غاية النشاط والصحة يوم الثلاثاء الماضى .

وقال الغريب بنوع من التدين :

- لقد كان فى منتصف العمر .. أصغ .

ونمى إلى أسماعهم فى تلك اللحظة صوت ناقوس يدق .

وأصغى ' جاميز ستون ' وجبينه يتصبب عرقا . فقد أدرك أن
الجرس يصدق معلنا أن مسر (ستيفز) قد مات .
وقال الغريب وهو يتنهد :

هذه الحسابات المعلقة منذ أمد طويل إن المرء فى الواقع يبغض
أن ينهبا . ولكن ماذا أفعل ؟ الشغل شغل .

وكان المنديل لا يزال فى يده ، وانتاب جاميز ستون شعور
بالمرض وهو يرى المنديل ينتفض ويخفق فى يدي الغريب .
فسأله فى صوت مبجوح :

- أكلهم صغار الحجم إلى هذا الحد ؟

فقال الغريب : صغار الحجم ؟ أوه فهمت ما تعنيه لا ليسوا
جميعا مناثلين .

ثم راح بقميس جاميز بعينيه وانفرج فمه وقال :

- لا تشغل بالك يا مسر (ستون) فإنك ستذهب حاملا رتبة
عظيمة جدا .

فإننى أطمئن عليك خارج صندوق المجموعة .

ولكننا مع رجل مثل (لوابتال ويسر) سيكون علينا أن نصنع

له صندوقا خاصا وسيد هشك طول جناحيه .. أما فى حالتك أنت يا مـتر جاميز فكما كنت تقول .

فقال ' جاميز ستون ' فجأة : ضع هذا المنديل جانبا .

ثم راح يتوسل فى ضراعة فكان ما استطاع أن يناله هو مهلة ثلاث سنوات مع الشروط الجديدة .

ولا أحسبك تتصور كيف تنقضى السنوات الأربع سـراعا إلا إذا أبرمت اتفاقا مثل هذا . فقبل أن تنقضى سنوات المدة بأشهر قلائل كان جاميز وستون قد أصبح مشهورا فى طول الولاية وعرضها وتحدث الناس فى أمر ترشيحه لمنصب المحافظ .

فما كان هذا كله إلا كالغبار والرماد فى حلقة . وكان يقول لنفسه عندما يستيقظ كل صباح ها قد اتفقت مرة أخرى . وعندما يتمدد فى فراشه تتمثل أمام عينيه صورة المحفظة السوداء وروح (سيقز) البخيل .

وكان هذا التفكير يشبع السقم فى كيانه حتى أصبح فى الأيام الأخيرة لا يطيق الاحتمال . فأسرج جواده وانطلق يبحث عن (دانيال وستر) وينال من مواليد (بنوها مبشائر) يقيم على مسافة بضعة أميال من كروس كورمتز . وكان معروفا عنه فى المنطقة

كلها أنه بكن عطفًا كبيرًا لجبرانه القدامى .

وصل جاميز إلى دار شفلد فى وقت مبكر من الصباح ولكنه وجد (دانيال) قد استيقظ وراح يجوس خلال أرضه ويتحدث إلى عمال المزرعة باللغة اللاتينية ويتصارع مع الكباش (جولييات) ويجرب جوادًا جديدًا ويتدرب على خطب جديدة يلقيها ضد جون ش - كالهون) .

ولكنه عندما سمع أن زائرا من بنوها مبشّابرا جاء ليراه تخلى عنه كعادته عن كل ما كان بفعله .

وقدم (جاميز ستون) إفطارا يكفى لأكثر من خمسة رجال ثم راح يستعيد على ضيفه تاريخ حياة كل رجل وامرأة كووس كورندز ، وأخيرا سألته عن الخدمة التى يستطيع أن يؤديها له ؟

قال جاميز ستون : إنه فادم بشأن قضية رهن .

فقال دانيال : حسنا إننى لم أترافع فى قضية رهن منذ أمد طويل وعلى العموم فإننى لا أترافع الآن إلا أمام المحكمة العليا غير أننى مع هذا سأساعدك أن أفعل ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

فقال (جاميز ستون) إذن فإن أمامى بصيصا من الأمل للمرة

الأولى منذ عشر سنوات .

ثم راح يقص عليه تفاصيل الأمر و (دانيال) مصغ يتمشى ذهابا وجيئة ويدها خلف ظهره يسأل سؤالا حينما ويركز نظراته على أرضية الغرفة حينما آخر وكأنه يخرقها بهذه النظرات كما تفعل المثاقب حتى إذا انتهى (جاميز ستون) نفخ (دانيال) شدقيه ثم أفرغ منهما الهواء والتفت إلى (جاميز ستون) وقد غمرت وجهه ابتسامة في مثل إشراقة الشمس وقال :

- إنك بكل تأكيد قد أسلمت نفسك لجانب الشيطان فجرفك في تياره أيها الجار ستون ولكنى سأتولى قضيتك .

وقال (جاميز ستون) وهو لا يكاد يصدق أذنيه .. سيتولاها .

نعم . إن عندي ما لا يقل عن خمس وسعين مسألة أخرى .

لأتولاها كما أنى مشغول باتفاق (مبسورى) ولكن مع ذلك سأتولى قضيتك .

فإنه لم يكن رجلا من نبوها ميشاير جديرين بمنازلة الشيطان فإن الأجدد بنا أن نترك البلاد للهنود الحمر .

هل استغرقت وقتا كثيرا في الهجاء إلى هنا ؟

فقال جاميز ستون وهو بصفاح دانيال :

- أعترف بأننى استغرقت وقتا طويلا .

- إذن فستعود مسرعا .

وأمر دانيال فأعدت مركبة يجرها الحصانان (كونستونش وكونستيلشان) وكانا رمادى اللون لكل منهما قائمة شهباء يجريان كالبرق الخاطف .

لن أصف إلى أى مدى فرحت أسرة ستون باستقبال دانيال وستر ولا إلى أى مدى فرح ستون حتى لقد أطارى الريح قبعته فى الطريق فلم يلق إليها بالا .

ولكنه أذن للأسرة جميعها بأن تأوى إلى الفراش بعد العشاء لأن لديه عملا على جانب كبير من السرية مع مستر (بستر) وأرادت مسز (ستون) أن يجلسا فى قاعة الاستقبال ولكن ديستر كان يعرف قاعات الاستقبال فقال إنه يفضل المطبخ فكان ما أراد .

وجلسا هناك ينتظران الغريب وبينهما المائدة عليها إبريق من الخمر وقد أوقدت نيران المدفأة .

كان المتوقع أن يظهر الغريب عند انتصاف الليل جريا على مألوف عاداته . إن الغالبية العظمى من الرجال لا يرجو خيرا من دانيال .

ويستبدلون إبريق من الخمر ، ولكن جاميز ستون كان يزداد حزنا على حزن مع كل دقة من دقائق الساعة فراحت عيناه تدوران فيما حوله وهو يعكف عن إبريق الخمر رغم أنه أعده بنفسه حتى إذا بلغت الساعة الحادية عشرة والنصف هب قائما وأمسك بذراع دانيال ويست وصاح به :

- مستر (ويست) .

وراح صوته يرتعش من الخوف وقد فارفته شجاعته ثم قال :

- بالله عليك يا مستر ويست أسرج جواديك وبادر بترك هذا المكان بأقصى ما تستطيع من سرعة .

فقال (دانيال ويست) بكل هدوء وهو يتناول الإبريق :

- هل جئت بى أيها الجار من مكان بعيد لتقول لى إن صحبتى لا تروق لك ؟

فرد (جاميز ستون) فى صوت أشبه بالأنين :

۔ یا لی من یأشس تعس لقد جئت بك إلى طریق الشيطان .

والآن هاأنذا تبینت مقدار مخافتی .

اتركه يأخذنی إذا أراد .

إننی لا أتلهف على الذهاب معه ولكنی أستطیع أن أحتمل ذلك .

أما الذی لا أقدر على احتماله فهو ذهابك أنت .

إنك سند الاتحاد وفخر (بنوها مبشایر) یجب ألا يأخذك یا مسٹر (ویسٹر) یجب ألا یذهب بك .

ونظر (دانیال ویسٹر) إلى الرجل المشتت الفكر وقد بدأ وجهه الشاحب وکیانه المضطرب فی ضوء اللهب الذی ينبعث من المدفأة ووضع یده على كتفه وقال بلطف :

۔ إننی أشکر لك هذه المشاعر أيها الجار ' ستون ' فإنه لجميل منك أن تفكر فی أمری على هذا النحو .

غير أن هناك إبريقا من الخمر على المائدة وقضية فی یدی ولم يحدث فی حیاتی قط أننی تركت إبريقا أو قضية دون أن أتحقق من أمرهما إلى النهاية .

وفى هذه اللحظة بالذات طرق الباب طريقة حادة .

فقال دانيال ويستر بصوت غاية فى البرود :

- آه .. كنت أعتقد أن ساعتك تؤخر بعض الشيء أيها الجار ستون .

ثم تقدم إلى الباب ففتحه وقال :

- ادخل .

ودخل الغريب غارقا فى السواد . يبدو طويلا فى ضوء النيران وقد حمل تحت ذراعه صندوقا يابانى الطراز أسود اللون ، فى غطاءه ثقب تسمع بمرور الهواء .

وعندما رأى جاميز ستون الصندوق أطلق صيحة خفيفة وانكمش فى ركن من الحجرة .

وقال الغريب فى أدب بالغ وقد أومضت عيناه كما تومض عينا نعلب فى قلب الغابة .

- مستر (ويستر) على ما أعتقد .

فقال (دانيال ويستر) وقد أومضت عيناه هو أيضا :

- وكيل قضائى مسجل عن (جاميز ستون) هل أستطيع أن
أسألك عن اسمك ؟

فقال الغريب دون اكتراث :

- إن لى اسماء عدة ربما كان اسم (خريولسن) أصلها لى فى
مساتنا هذا .

فالناس يطلقون على هذا الاسم أحيانا فى هذه المناطق .

ثم جلس إلى المائدة وصب لنفسه قدحا من الإبريق فإذا
الشراب البارد يتدفق من الإبريق فى حرارة البخار .

ثم قال وهو يبتسم مكشرا عن أسانه :

- والآن سوف أبدأ إليك باعتراف مواطني يحترم القانون كمواطن
قانونى دائم لبعيننى حتى أحصل على حقى .

هكذا بدأت المناقشة وأخذت تطول وتستخدم .

وكانت لدى (جاميز ستون) فى البداية بادرة أمل ولكنه
عندما كان (داسيال ويستر) ينقل من نقطة بعد أخرى نضائل فى
منكمشه وعيناه لا تفارقان ذلك الصندوق اليابانى الطراز .

لقد كان أخطر ما فى الأمر أن الفعل ثابت والتوقيع

صحيح .

لقد ظل (دانيال ويست) يتلوى ويتلفت هنا وهناك ويدق على المضدة بقبضة يده ولكن هذا كله لم يفده شيئا .

فعرض للقضية حلا وسطا ولكن الغريب لم يصغ إلى شيء من ذلك .

لقد تمسك بحرفية القانون وأشار إلى أن الدين له زد من حيث القيمة وحكام الولايات بطبيعة الحال جديرون إن ثقتهم أكثر ارتفاعا .

كان (دانيال ويست) لا شك محاميا كبيرا ولكننا جميعا نعرف من هو ملك الحمامين فقد جاء ذكر ذلك في الكتب .

وهكذا بدا أن (دانيال ويست) قدلقى ندا له لأول مرة في ميدان المحاماة .

وأخيرا تشاءب الغريب قليلا ثم قال :

— إن جهودك النشيطة في سبيل موكلك تستحق التقدير يا مستر ويست .

ولكن إذا لم تكن لديك حجج أخرى تقدمها فإنني أستمحك

عذرا فلا وقت لدى .

وارتعدت فرائض (جاميز ستون) وبدأ وجه (دانيال ويست) كأنه سحابة مرعدة . وقد أرعد (ويست) فعلا وهو يقول :

- لديك وقت أو ليس لديك وقت إنك لن تنال هذا الرجل .

إن مستر (ستون) رعية أمريكية ولا يجوز إكراه مواطن أمريكي على العمل في خدمة أمير أجنبي .

لقد حاربنا إنجلترا مرة من أجل هذا وسنحارب من أجل الجحيم بأكمله مرة أخرى .

وقال الغريب :

- أجنبي .. ومن قال إنني أجنبي ؟

فقال (دانيال ويست) في دهشة كبيرة :

- إنني لم أسمع من قبل أن ... إنك تدعى الانتماء إلى الوطنية الأمريكية .

وابتسم الغريب ابتسامة مخيفة وقال :

- ومن أولى بهذا الحق مني ؟

لقد كنت هنا عندما وقع أول اعتداء على الهنود . وعندما أقلعت أول سفينة لجلب العبيد .. كنت واقفا فوق ظهرها .

ألست موجودا فى كتبكم وفى قصصكم ، بل فى عقائدكم منذ زمن المهاجرين الأوائل إلى هذه البلاد ؟

صحيح إن الناس فى الشمال يدعون أنى جنوبى وأن أهل الجنوب يدعون أنى شمالي ولكننى فى الحقيقة لست بهذا ولا ذاك .

فما أنا إلا أمريكى شريف مثلك .. وإذا أردت الحقيقة يا مسٲر (ويسٲر) وإن كنت لا أحب التفاخر فإن اسمى أكثر عراقة من اسمك .

وقال (دانيال ويسٲر) وقد نفرت عروق جبهته :

- إذن فيانى أستند إلى الدستور وأطالب بمحاكمة لموكلى .

فقال الغريب وعيناه تومضان بالشر :

- إن القضية لا تكاد تصلح للعرض على محكمة عادية .

والحقيقة إن تأخير ساعة ...

قال (دانيال ويسٲر) :

- فلتنك أية محكمة تختارها ما دام المحلفون أمريكيين .

لتكن محكمة نشيطة أو لتكن محكمة لا حياة فيها .

وإننى لعلنى استعداد لتحمل النتائج .

وقال الغريب :

- لقد قلتها أنت .

ثم أشار بإصبعه نحو الباب فإذا الريح تهب فى الخارج فجأة
وتتبدى للأسماع ضوضاء وقع أقدام تسمع واضحة فى سكون الليل
وإن كانت فى وقعها أبعد من خطوات الأحياء .

وصاح (جاميز ستون) وقد اعتراه الخوف والاضطراب :

- يا الله من يكون القادمون فى مثل هذه الساعة المتأخرة من

الليل ؟

فقال الغريب وهو يرشف رشفة من كأسه التى يغلى فيها

الشراب :

- إنهم المحلفون الذين يريدهم مستر (ويستر) أرجسوك أن

نتغاضى عن المظهر الحسن الذى سترى عليه بعضهم فلقد قطعوا

إلى هنا طريقا طويلا .

وتحولت النار إلى لهيب أزرق اللون وانفتح الباب فى عنف ودخل منه اثنا عشر رجلا الواحد تلو الآخر .

وإذا كان الرعب قد أسقم (جاميز ويستر) من قبل فقد أعماه الآن وهو يبصر بها .

كان الداخلون (والتر تبلر) الملكى الذى كان مبشر النيران والفرع فى وادى الموهوك أيام الثورة و(سيمون جيرتى) ، الخائن الذى يهمل للهنود وهم يربطون البيض فى الأوتاد ويشعلون فيهم النيران حتى يحترقوا . وكان ذا عينين خضراوين كعين الهرة تعلق قميص الصيد الذى يرتديه بقع من دماء لم تكن غزلان وكان فيهم الملك (فيليب) بكل ما كان فيه من غطرسة وشراسة طوال حياته يعلق رأسه ذلك الجرح البليغ الذى أفضى إلى موته .

كما كان دبل الحاكم القاسى الذى كان يحظم الناس فوق عجالات التعذيب .

كان معهم أيضا (نورنون) من ميرى لوتث الذى أزعج مقاطعة ليموث بوجهه الأحمر الجميل ويكراهيته الشديدة لكل ما تقول به الأديان .

وكان بينهم أيضا القرصان الدموى (تينش) بلحيته فوق

صدره . كما كان بينهم الأب (جون سميت) بيديه الخائفتين وعباءته السويسرية الطراز يسير بنفس الأناقة التي كان يسير بها إلى المشنقة وكان الأثر الأحمر الذى خلفه الحبل ما زال باديا حول عنقه ، ولكنه كان يحمل فى إحدى يديه منديلا تفوح منه رائحة عطر نفاذ .

دخل هؤلاء جميعا إلى الغرفة ونيوان الجحيم ما زالت تحيط بهم والغريب يعلن أسماءهم وأفعالهم فى أثناء دخولهم إلى أن كانت القصة الثانية عشرة .

لقد قال الغريب الحقيقة بخفافرها وتلك إنهم جميعا قد لعبوا دورا فى تاريخ أمريكا .

وحين أخذوا أماكنهم ، قال الغريب فى تهكم :

هل أنت راض عن المحلفين يا مستر ' ويسر ' ؟

وجمد العرق فوق جبين ' دانيال ويسر ' ولكنه قال بصوت واضح :

- كل الرضا وإن كنت لا أرى الجنرال أرنولد بينهم .

وقال الغريب :

- إن ' ببذبتك أرنولد ' مشغول بعمل آخر .

- آه إنك تطلب قاضيا فيما أعتقد .

وأشار بإصبعه مرة أخرى .

فإذا برجل فارغ الطول يدخل الغرفة عليه عباءة المطهرين ،
تضطرم فى عينيه نظرات التعصب الواضح يدخل إلى الغرفة ويتخذ
مجلس القاضى .

وقال الغريب :

القاضى ' هارتون ' من رجال القانون وخيراؤه ، رأس بعض
محاكمات السحرة التى عقدت فى العالم .

لقد ندم البعض على هذا العمل أما هو فلم يندم أبدا . وقال
القاضى ذو الوجه الصارم :

- وهل يندم المرء على مثل هذه المعجزات والأعمال الرائعة
التي قمنا بها ؟

- بل الشئ لهم جميعا فليشنقوا جميعا

ثم همهم محدثا نفسه فى لهجة باردة سرت كالثلج فى قلب
' جاميز ستون '

وبدأت المحاكمة .

ولا شك أنك توقعت أنها محاكمة لا تصلح للدفاع ، على أية حال لم يدل ' جاميز ستون ' بأية شهادة يزكى دعواه وإنما ألقى نظرة على ' سيمون جيوتى ' وصرخ فحملوه إلى ركن الغرفة وهو فى شبه غيبوبة من الذعر ، وما كان هذا ليوقف المحاكمة فأخذت سبيلها شأن غيرها من المحاكمات .

لقد سبق أن واجه ' دانيال ويسر ' محلفين قساة وقضاة غلاظ الأكباد ولكن هؤلاء الذين يواجههم اليوم هم أفسى من واجه فى حياته جميعا وما كان غافلا عن ذلك .

لقد جلسوا إزاءه وفى عيونهم بريق ، وصوت الغريب الساعم اللين ينطلق وينطلق وإذا أبدى اعتراضا فهو مقبول .

إنك بطبيعة الحال لا تتوقع أن تجد خصما شريفا فى شخص مثل ' خوبوسن ' .

وفى النهاية اقترب دور ' دانيال ' فإذا هو قد مى كالحديد فى جوف الأنون وإذا هو يقرر فى دخيلة نفسه أن يسلخ الغريب سلخا ويلجأ إلى كل حيلة من حيل القانون لتجريحه وتجريح القاضى والمحلفين .

ولم يبال أن يعتبر تصرفه إهانة لمبة المحكمة ولم يعبأ مما قد يحدث له نتيجة لمرافعته ، كما أنه لم يعبأ أيضا بما قد يحدث 'لحاميز ستون' وكلما فكر فيما سوف يقول ازداد ثورة على ثورة .

والعجيب في الأمر أنه كلما ازداد ثورة قلت قدرته على ترتيب أقواله ترتيبا متتابعاً .

وأخيرا حان الوقت لأن يقف على قدميه فوق متأهبا للكلام والادعاء وكشف خصومه وفضح اتجاهاتهم .

ولكنه قبل أن يبدأ الكلام ألقى نظرة متفحصة على القاضي والمخلفين .

فهكذا كانت عاداته في مثل هذه المواقف .

وتضاعف بريق عينيه فمالوا جميعهم إلى الأمام وبدوا ككلاب الصيد أوشكت أن تقض على ثعلب تطارده .

ونظروا إليه وتكاثر أمام عييه صباب الشر في الغرفة وهو يدينهم .

ثم تبين له ما هو موشك أن يفعل ، فجفف حبات العرق التي

غطت جهته كما يفعل رجل خا لتوه من الوقوع فى حفرة فى
الظلام

إنهم ما جاءوا إلا من أجله كذلك وليس من أجل ' جاميز
ستون ' فحسب .

لقد قرأ هذا فى بريق عيونهم وفى الطريق التى يخفى بها هذا
الغريب فمه بإحدى يديه وأدرك أنه لو حاربهم بأسلحتهم وقع فى
قبضتهم .

لقد أدرك ذلك ولكنه لا يستطيع أن يدرى كيف أدركه . كان
يرى غضبه ورعبه يضطربان فى أعينهم وكان لا بد له أن يزيل
هذه النظرة أو تضع القضية من يديه .

ووقف لحظة وعياه السوداوان تتقدان كالبحم المحترق ثم بدأ
يتكلم .

بدأ فى صوت خفيض وإن كانت كلماته واضحة يستطيع المرء
أن يسمع كل كلمة منها .

لقد كان القوم يقولون إنه يستطيع أن يستنجد بمعارف القديسين
والملائكة إذ أشار ، لذلك بدأ الحديث ببساطة وسهولة كما يفعل

أى رجل من الرجال .

ولم يبدأ بالاتهام أو بالسباب .

وإنما كان يتحدث عن الأشياء التى تجعل الوطن وطنا والرجل رجلا .

وبدأ بالأشياء البسيطة التى يعرفها كل إنسان ويحسها .

نضرة الصباح الجميل وأنت فتى فى مقتبل العمر ومذاق الطعام الطيب وأنت جائع واليوم الجديد الذى لا ينصرم وأنت طفل صغير .

لقد جمع هذه الأشياء كلها وراح يديرها بين يديه ، إنها أشياء طيبة صالحة لأى إنسان ، ولكنها بدون حركة تصبح أشياء تثير الغثيان .

وحين راح يتكلم عن العبيد ومآسى العبودية كان صوته أشبه شىء برنين جرس ضخم الجحيم .

تكلم عن أيام أمريكا الماضية والرجال الذين صنعوا هذه الأيام .

ولم يكن حديثا من تلك الأحاديث ذات الرنين والطنين وإنما

كان يرسم الواقع الذى بدأه كل إنسان .

ولقد اعترف بكل الأخطاء التى وقعت ولكنه أوضح كيف نما خلق جديد من بين الخطأ والصواب ومن بين الآلام والمجاعات ، وكيف أن كل إنسان قام بدوره حتى الخونة .

ثم تحول إلى " جاميز ستون " ووصفه لهم كما هو ...

رجل عادى ذو حظ سيئ أراد أن يستبدل به حظا أسعد .

ولأنه أراد أن يبدو حظه يحكم عليه اليوم بالعذاب إلى يوم الدين .

ومع ذلك فإن فى " جاميز ستون " صفات ومزايا طيبة . وقد بين لهم هذه المزايا والصفات .

لقد كان جافا دنىء الطبع فى بعض النواحي ولكنه كان رجلا .

وإذا كان من المؤسف أن يكون الإنسان رجلا إلا أن هذا أمر يدعو إلى الفخر والاعتزاز .

وراح يبين موطن هذا الفخر وهذا الاعتزاز حتى إن أحدا لا يملك إلا أن يحس بهما .

نعم .. فحتى في الجحيم تستطيع أن تعرف الرجل إن كان رجلا
حقا .

لم بعد (وبستر) يترافع عن شخص معين رغم أن صوته كان
يرن كأنه عزف الأرغن .

لقد كان يروى قصة الإنسان وعثراته في طريق رحلته الأبدية .
إن الإنسان ينخدع ويقع في الشباك ويجد من يغرر به ولكنه
في الواقع عظيما حقاً .

وما من شيطان يستطيع أن يصل إلى مراميها .
فهذا أمر يكلف الإنسان حياته .

وبدأت النيران تجو في الموقد وهبت سمات الفجر التي تسبق
الصباح .

وكانت بواكير ضوء النهار تتسلل إلى الغرفة عندما انتهت
(دانيال وبستر) من مرافقته .

ولقد عاد بكلماته قبل نهايتها إلى أرض بنوها مبشائر . البقعة
الوحيدة التي يحبها كل إنسان ويتعلق بها .

لقد رسم صورة لهذا كله وهو يذكر كل واحد من المحلفين بأشياء

طال بها النسيان .

ذلك أن صوته قادر على أن يمس شغاف القلوب .

وكان هذا مكنن موهبته وبحلى عبقريته .

كان صوته يبدو لأحدهم كالغابة بكل أسرارها الخافية فى حين يبدو لآخر كالبحر الهادر العاصف ويبدو لثالث كأنه صرخة أمته الضالة .

ويرى فيه الآخرون منظرا بديئا لم يتذكر أحد منهم مثله منذ سنين .

لقد رأى كل فرد منهم فى مرافعة (دانيال ويست) شيئا قريبا إليه .

ولكنه مع ذلك لم يكن يدرى حين انتهى من مرافعته أهو قد أنقذ (جاميز ستون) أم لم ينقذه .

ولكنه كان واثقا أنه قد صنع معجزة .

لقد اختفى البريق من أعين القاضى والمحلفين وعادوا رجالا من البشر مرة أخرى وأدركوا آنذاك أنهم ليسوا إلا رجالا من البشر .

وقال دانيال ويست :

- الدفاع يستريح .

وظل واقفا كالجبل وأذناه تطنان من أثر مرافعه .

وظل لا يسمع شيئا غير هذا الطنين إلى أن قال القاضي
هارثون :

- المحلفون سينسحبون للنظر فى قرارهم .

ونهض (والتريلد) من مكانه وعلى وجهه أمارات هى صريح
من الكبرياء الكثيرة والمرح المشرق وقال وعيناه معلقتان بعين '
الغريب ' .

لقد أصدر المحلفون قرارهم ، إنه لصالح المدعى عليه (جاميز
ستون) .

حينئذ فارقت الابتسامة وجه ' الغريب ' ولكن (والتريلد) لم
يتراجع وقال :

- ربما كان القرار لا يتفق تماما مع الأدلة المقدمة ولكنه
الشیطان نفسه لا يملك إلا أن يحبى بلاغة مستر (ويسر) .

شق صياح الديك سماء الصباح التى تسلل إليها النور واختفى
القاضى والمحلفون من الغرفة فكأنهم ما كانوا هناك أبدا .

والثفت ' الغريب ' إلى (دانيال ويست) وهو يبتسم فى تشنج .
لقد كان الماجور (تبلد) رجلا جريئا دائما ولكنه ما كنت
أظنه جريئا إلى هذا المدى ومع ذلك لماقبل تهنتتى كما يحدث من
السادة المهذبين .

وقال (دانيال ويست) :

- ناولنى هذه الورقة أولا من فضلك .

وتناولها ومزقتها ، والعجيب أنها كانت دافئة الملمس .

ثم امتدت يده كأنها مصيدة دب فقبضت على ذراع الغريب
وقال له :

- والآن سأقبض عليك أنت .

فقد كان يعلم أنه إذا استطاع إنسان أن يتغلب على رجل الـ (خربوش) فى نضال عادل انقضى سلطانه على هذا الإنسان .

وكان يعلم أيضا أن (خربوش) على علم بهذه الحقيقة .

وتلوى الغريب وحاول أن يتخلص ولكنه لم يستطع الإفلات من
قبضة (ويست) .

فقال وهو يبتسم ابتسامة شاحبة :

روبك يا مستر (ويسر) إن عملك هذا شيء مضحك وإذا كنت قلقا من أجل أتعاب الدفاع فطبيعى أنه يسرنى أن أدفع ..

وقال دانيال ويسر وهو يهزه بعنف حتى اصطكت أسنانه :

- وإنك لدافعها ، فسوف تجلس هنا إلى هذه المائدة بالذات وتكتب على الفور وثيقة تتعهد فيها بأنك لن تتعرض لـ (جاميز ستون) ولا لورثته أو تابعيه ولا لأى إنسان آخر من بنو هامبشاير إلى يوم يبعثون .

فإننا إذا احتجنا إلى وجود جهنم فى هذه الولاية فسوف نقيمها نحن بأيدينا دون معونة من الغرباء .

وصاح الغريب :

- آه . آه .. حسنا إنهم لم يهرعوا من زاحمين قط إلى المصيدة ولكن .. آه .. إننى موافق .

ثم جلس وكتب الوثيقة ولكن يد (دانيال ويسر) ظلت آخذة بقبضه ياقة معطفه طوال الفترة التى استغرقها فى الكتابة .

وحين تأكد (دانيال) أن الوثيقة مكتوبة بالصيغة القانونية السليمة قال الغريب بكل خضوع :

- والآن هل تأذن لي أن أذهب .

وقال دانيال وهو يهزه مرة أخرى :

- تذهب ؟ إنني لا أزال أفكر ماذا أفعل بك .

لقد أدت أتعاب القضية ولكنني لم أنته من أمرك .

أعتقد أنني سأعود بك إلى مارشفيلد فعندى هناك كبش اسمه جوليات يستطيع أن يتطح بابا من حديد ، وتملكني الرغبة في أن أتركك طلبا في حظيره لأرى ماذا هو فاعل بك .

فراح الغريب يتوسل ويتضرع في خضوع ذليل .

وكان دانيال طيب القلب بطبيعته فوافق على أن يتركه وشأنه .

وبدا الغريب ممثنا لذلك كل الامتنان حتى لقد قال إنه سينبئ (دانيال) بمستقبله ليكون ذلك دليلا على الصداقة بينهما ووافق دانيال على ذلك وإن كان عادة لا يثق في أحد من المنجمين .

إلا إن الأمر يختلف مع الغريب ، وتفرس ' الغريب ' في كف (دانيال) وأنبأه ببضعة أشياء ولكنها حدثت كلها في الماضي وقال

(ويسز) :

- نعم .. كان هذا صحيحا وقد حدث فعلا ولكن ماذا سيحدث
فى المستقبل ؟

وابتسم الغريب ابتسامة بدت لها نواجذه وهو يشعر بنوع من
السعادة وهز رأسه ثم قال :

- إن المستقبل ليس كما تظنه أنه مظلم إن لك مطمحا كبيرا يا
مستر (ويسز) .

وقال دانيال فى تأكيد :

- نعم ... فقد كان كل إنسان يعرف أنه يطمح أن يكون رئيسا
للجمهورية .

وقال الغريب :

- إنه يبدو قريبا كأنه فى قبضة يدك ولكنك لن تصل إليه ،
سيصبح رجال أقل منك شأنًا رؤساء للجمهورية وسيحطمونك .

- وماذا فى هذا .. إننى سأظل (دانيال ويسز) على كل حال ،
وماذا أيضا .

وقال الغريب وهو يهز رأسه :

– إن لك ولدين قويين وإنك لتتطلع إليهما فى أمل إلى إقامة سلسلة من الإنسان ولكن كليهما سيموت فى الحرب ولن يبلغ أى منهما الجهد الذى تريده له .

يعيشان أو يموتان .

إنهما ما زالا ولدى ، وماذا أبضا ؟

لقد ألقى خطابا عظيمة وستلقى خطابا عظيمة أخرى .

– آه ...

ولكن آخر خطبة ستلقبها سوف تقلب عليك الكثيرين من أنصارك وسيطلقون عليك اسم (النجم الغارب) بل إنهم سيطلقون عليك أسماء أخرى ، وحتى بنو نجلد سيقول عنك البعض إنك غيرت مبادئك وبعث بلدك وستظل أصواتهم مدوية ضدك حتى يوافقك الأجل المحتوم .

– مادامت خطبا شريفة فلن أهتم لما يقوله الناس .

ثم التفت (دانيال ويست) نحو الغريب والتقت النظرات بينهما وقال :

– سؤال واحد ، لقد كافحت فى سبيل الاتحاد طول حياتى

أترانى أعيش حتى أرى هذا الكفاح ينتهى إلى انتصاره على هؤلاء الذين يمزقونه كل ممزقا ؟

- سينتصر هذا الكفاح ، ولكن لن يكون هذا وأنت على قيد الحياة .

وسوف يسير آلاف على نهجك وهم يستشهدون فى نضالهم بكلماتك .

وقال (دانيال ويست) فى هدير ضخم من الضحك :

- ولماذا أيها البرميل الطويل المتحجر الجوانب ، لماذا أيها المرابى ، التنجيم ، يحسن بك أن تبتعد إلى قصدك قبل أن أدفعك بعلامتى التى لا تمحى .

فإننى بحق الولايات الثلاث عشرة الأصلية على أتم استعداد لأن أذهب إلى هاوية الجحيم لأنها لأنقذ الاتحاد .

ثم أرجع قدمه إلى الوراء ليركل الغريب ركلة تقتل الحصان القوى ، ولكن طرف الحذاء هو الذى أصاب الغريب ، ثم انطلق هاربا من البيت وصندوق بمحموعته تحت إبطه .

وقال (دانيال ويست) لجاميز ستون وقد بدأ يفيق من

إغمائته .

- والآن دعنا نرى ماذا تبقى فى الإبريق فقد كان عملنا طوال
اليوم جافا وأرجو أن يكون لديك مطيرة نفطر بها أيها الجار (
ستون) ..

ويقولون إن الشيطان حتى اليوم لا يقرب من مارشفيلد إلا
وبينه وبينها مسافة كبيرة ، وإن كان لا يرقى ولاية بنوها مبخاير
منذ ذلك اليوم

الفاسل

الفاشل

توقفت سيارة البوليس أمام دائرة الشرطة فى ميروكلىن ونزل
منها رجل المباحث برانسكى أولا ثم تبعه بورش .

ثم صعدا درجات السلم معا .

شعر بورش بعضلات معدته تتمدد وتتصلب وأخذ نفسا عميقا .

إنه شاب أشقر اللون غيل ذو أنف أقنى وعينان زرقاوان
تشوبهما خضرة خفيفة . كان فمه يرتجف قليلا وهو يعرض على
شفتيه وأخذ يحدث نفسه قائلا :

- إنك لم تذهب إلى هناك وتذكر هذا ولا تقول شيئا غيره .

بهذه الطريقة لا يمكنهم إثبات شيء حتى لو تكلم الاثنان
اللذان كانا على السطح فهما لم يشاهداك إلا قليلا ولا يمكن أن
يكونا متأكدين من شيء .

كان بورش يعلم بأن النصف ساعة القادمة ستكون صعبة ولكنه

سينوصل لإقناعهم بأنه لم ير كارين منذ سنة تقريبا وبأنه انتهى من العملية .

غير أنه يجب عليه أن يكون حذرا لأن أقل خطأ منه سيفضح أمره .

ولم تكن قد مضت عشرون دقيقة على دخول برتسكى إلى ستديو بورش وبعد أن قدم نفسه سأل .

- السيد كلايد بورش نود أن نقول لك فى كلمة فى مركز شرطة بروكلين .

- وبأى خصوص ؟

- إنك تعلم بأن زوجتك ماتت .

أليس كذلك ؟

ورفع بورش رأسه فجأة وبعنف وقال : كارين ؟.. ماتت ؟

ما الذى حصل لها ؟

- أنت الذى يجب أن تقول لنا هذا .

ولكن سورش قد طالع كثيرا من الكتب وأصبح عنده علم

بالبوليس وكيف يعمل ؟

- إنهم يأخذون المبادرة ويتصرفون كما لو أنهم يعرفون بكل شيء ويجربون إثارتك لتفقد بدورك أعصابك ولتقع بأى الخطأ .

إذن فالتصرف الذى تصرفه براتسكى معه لأول وهلة وصمته وعدم تكلمه بأية كلمة طوال الوقت الذى استغرق وصولهم إلى مركز الشرطة فى بروكلين لم يكن كل هذا إلا من الأمور الروتينية التى يعلمها بورش .

إذن يجب ألا يعير للأمر أية أهمية .

غير أن بورش شعر شعورا غامضا فى داخله بأن رجل المباحث كان بجانبه وذلك تطورا للثقة بالنفس التى كانت تنتابه .

ووضع براتسكى يده على كتفه بحركة عصبية وقال له :

- من هنا يا بورش .

ثم قرع أحد الأبواب ودخل وهو يقول :

هذا هو كلايد بورش أيتها الملازم .

وجمد بورش عندما رأى ذلك الرجل المربع الجسم ذا الشعر

الأغبر الجالس .

- اجلس يا سيد بورش .

قال ضابط البوليس .

واندهش بورش عندما سمع ذلك الصوت .

فقد كان ناعما ودودا لم ينتظر ذلك من تلك الكتلة القوية
المتشكلة بالملازم .

- هل تعلم لماذا أنت هنا ؟

كان بورش يجلس بطريقة غير مرتاح بها .

- ليس بالضبط .

قال هذا وهو ينتقى الكلمات .

قال لي السيد براتسكى بأن كارين زوجتى ماتت ...

متى شاهدتها لآخر مره ؟

كان ذلك منذ مدة سنة تقريبا ..

ولماذا انفصلتما ؟

لم نكن لنتفاهم مع بعضنا .

وعلى كل حال انفصلنا بعد تقاهمنا التام وكان انفصالنا جيدا.

هل كنت تأمل الحصول على الطلاق ؟

فأجابه بورش وهو يهز بكتفيه .

كنا نجري المفاوضات على ذلك .

حتى الآن كان كل ما قاله صحيحا رغم أن بورش لم تشر أية إشارة إلى مزاج كارين الشرس ورفضها المطلق للطلاق .

وتذكر تلك النوبة العصبية التي انتابتها عندما صرخت :

أبدا .. أبدا .. أبدا .. لن يتم الطلاق إلا إذا قتلتني .

قال له الضابط بلهجة مازحة :

- لقد نسيت أن تسألنا كيف ماتت .

- لم يتح لى الوقت لذلك .

هل تسمح وتقول لى كيف حدث ذلك ؟

وقدم ماليز ورقة بيضاء لبورش وقال :

- اكتب اسمك هنا من فضلك .

وأخذ بورش الورقة وبعد أن عبس قليلا قال :

- أوه أظن أنكم تريدون بصمات أصابعي .

فأجابه ماليز بلهجة جافة .

- بالضبط .

وبصماتك معنا الآن .

ثم أخذ منه الورقة وأعطاهها إلى براتسكى وقال :

- أوكى .. لو ..

لم يكن مجدر ببورش أن يقول ذلك .

وندم فعلا على قوله .

فهذا يظهره بمظهر الفطن الفهيم القادر على إخفاء الحقيقة .

ونظر براتسكى يمر من أمامه وشعر بمראה خفيفة فى

داخله ...

وبعد أن فرك الضابط ماليز يديه قال :

- أين كنت بعد ظهر أمس ؟

- ذهبت إلى سينما راديوستيتى وكنت هناك .

فى أية ساعة كنت هناك ؟

من الساعة الثالثة حتى السادسة تقريبا .
ولكن كيف حصل أن شاهدك أحد الأشخاص تدخل إلى غرفة
السيدة بورش فى الساعة الخامسة وتخرج فى الخامسة والنصف ؟
ودون أن تظهر أية حركة خاطئة أو أى تغيير فى صوته أجاب
بورش بلهجة لا مبالية :
- إنه مخطيء .

وعندما خرجت كنت بادى الاضطراب وكنت مترنحا فى
مشيتك حتى إنك كدت تسقط .
- لقد قالوا عنك كنت كالثلج .

وقال بورش فى نفسه : إنها بلا شك تلك المرأة الحمراء الشعر
حارسة البيت فهى التى اكتشفت الجثة وأخبرت البوليس طبعاً أنها
أتت إلى مركز الشرطة هذا الصباح نفسه وسألها البوليس .
ويجب أن تكون قد أعطت أوصاف بورش وذلك بعد أن رأت
صورته فى مجموعة صور كارين .

- إذن هل تأمل الخلاص عن طريق قصتك تلك .

- قصة السينما ؟

- إننا نتلقى كل أسبوع الكثير من هذه الحوادث .

- وما من واحدة منها غمضت علينا .

و شد بورش على أصابعه وبلغ ريقه ثم قال :

- ماذا جرى لكارين أيها الملازم ؟

- قد قلت طعنها الجاني بسكين المطبخ .

- أوه .

قال بورش وعض على شفته .

- سكين المطبخ ذاك .

كان أخضر المقبض طويل النصل انغرس في صدرها .

كانت ممددة قرب النافذة مفتوحة العينين .

- هل لك صديق يا بورش ؟

كانت إليز صغيرة لطيفة حاملة .. وهى مستعدة للذهاب معه
آخر الدنيا .

أوه يا كلايد .

كم سأكون سعيدة لو أنى أحظى بك دائما ونهاييا .

باستطاعتنا أن نكون سعداء !! هكذا كانت تقول له .

وبعد أن جفف بورش عرق جبينه قال :

- إنى لا أريد حشر أحد فى هذه القضية .

ماذا ؟ قال له ماليز بلهجة الأمر .

- أظن أننا أغبياء إلى هذه الدرجة حتى لا يتمكن من إيجادها ؟

وهز بورش رأسه قليلا ثم حدث نفسه :

لا لزوم للتفتيش عليها .

فهى ستهرع إليه حالما تعرف أين تجده .

لذلك قال الملازم :

- اسمها إليز فالديك - ٣٩٥ الشارع ٧٣ .

وكتب ماليز العنوان وكبس على زر بجانبه ثم أعطى العنوان

إلى رجال البوليس .

وفى هذه اللحظة دخل براتسكى إلى المكتب وأعطى الملازم

ورقة ما لبث أن طواها بعد أن قرأ ما بها ووضعها أمامه ثم قال :

أما زلت مصمما على القول بأنك لم تكن هناك ؟

وبأنك لم ترها منذ سنة ؟

- طبعاً وهذا هو الصحيح .

وقال بورش بلهجة عادية :

- ولكن من أين وصلت بصمات أصابعك مكتبها :

مكتبها ؟ قال بورش ولكنه قد مسح جميع البصمات من كل مكان وكان حريصاً للغاية من هذه الناحية .

فهل يجوز أن يكون نسي المكتب أو أن الملازم يجرب خدعه والتفكير به ؟

وقال تظن أنني أخدعك ؟

إذن سأحاول إعطاءك هذه النصيحة .

عد إلى الأرض واترك عالم الأحلام .

هل تظن أنني أخاطر بخداعك وعلى الأخص عندما يكون في الوسط بصمات أصابع ظاهرة جلية .

وماذا سأقول للمحكمة عندئذ ؟

اسمع إنني لا أخاطر بمركزي وأنت رجل ذكي على ما بدا لي

لذلك يجب أن تقتنع بأننى أقول الحقيقة .

ولكن لم أقتل كارين .

- ليس باستطاعتى قتل أحد .

عندئذ قفز ماليز إلى الأمام وألقى هذه الكلمات بصوت مرتفع

ليس لديك أى حظ للإفلات وسأجد جميع الدلائل وسأعرف

كل ما فعلته .

إنى أعرف كل تفكير فى رأسك مهما كان خفيا وباستطاعتى

أن أقلب رأسا على عقب فأنا أكره كل قاتل .

ثم هدا قليلا .

وبعد لحظة توصل إلى أن يبتسم وظهرت أسنانه القوية المتناسقة .

وتابع : لقد قالت أمام الجميع بأنها لا توافق أبدا على الطلاق .

إذن هذا هو السبب فى تصرفك .

أريد أن تكون واضحا وهذا كل شيء أطلبه فى الوقت الحاضر ...

وأمسك براتسكى ببورش من ذراعه وخرج به من الغرفة .

وقال له الرجل الضخم وهو يسير به في الرواق الخارجي :
- اسمع من الأفضل لك أن تعترف بكل شيء فإنك لا نستطيع
اللعب على الملازم إنك لست من عيابه .

وقال بورش بصوت جامد وهو يهز رأسه :

- إذن فتشوا عن قاتل غيري .

- لست أنا القاتل .

وهز بيراتسكي بكتفيه وأخذه إلى غرفة مجاورة حيث جلس
بورش تحت مراقبة أحد رجال الشرطة مشوش التفكير .

هل كان معه حق ؟

إن ماليبز لم يحتاج إلا إلى عشر دقائق فقط ليتهمه بجريمة
قتل .

وبينما هو أثناء هذا الاستجواب فقد يكون هناك عشر أو
خمسون رجل مباحث يتقبون ويفتشون على الأدلة والبراهين .

إنهم يقرعون الأبواب ويسألون وصورته بيدهم .

هل تعرفون هذا ؟ اجيبوا .

حدثونا عن الخلافات التي كانت تحصل بينه وبين زوجته قبل أن يتركها .

قولوا لنا عن تلك المشاهد كيف كانت تثيرها وكيف كانت تشعل نار غضبه ..

قولوا كيف كانت تبدو عندما تصرخ بوجهه قائلة :
- إنك تكرهني .

إنك تريد التخلص مني وتريد قتلى .

قولوا لنا أيضا كيف كانت إليز وبورش يتناوبان من أعماق نفسيهما وكيف أخذ موعدا من كارين نهار أمس بعد الظهر .

ثم جاء وقال لإليز :

لا تهتمي للأمر يا عزيزتي .

سأكون حازما هذه المرة .

في الأحد القادم باستطاعتنا الزواج إنى أعدك بذلك .

هل ستعبد إليزا هذه الكلمات ؟

هل سيتوصلون إلى انتزاعها منها ؟

وفكر أيضا بخبراء المختبر مع آلاتهم الدقيقة كيف يفتشون وينقبون عن أدنى إشارة أو دليل فى سكن كارين ثم كيف يجمعون تلك القرائن والأدلة ليؤلفوا منها وحدة متماسكة إنهم سيعلمون تفتيشه درج كارين .

لقد أخذ كل أوراقه وكل شىء يخصه فكيف سيفسر لهم ذلك ؟

وأخذ يثن أنينا خافتا وهو يخفى وجهه بين يديه .

إنه يعرف كارين تماما ويعرف بكل تأكيد أن لها عشيقا وبأنها ربما أثارتة وصرخت بوجه ذاك العشيق تماما كما كانت تصرخ بوجهه وهى تقول :

اقتلنى .. إن هذا ما تريد .

هيا قم لعملك .

ولكن إذا قال هذا لماليز فيعنى ذلك أنه يعطى للملازم دليلا جديدا ضده كما أنه إذا قال له بأنها هى التى فتحت له الباب عندما ذهب إلى هناك فهذا مما يعقد الأمر أكثر وأكثر بالنسبة إليه .

إن كل كلمة صريحة صادقة ما كانت إلا لتثبت الجريمة عليه ...

إن ماليز يمكنه بضحيته البريئة .

إنه يمكنه بكلايد بورش .

فى الساعة الثالثة بعد الظهر عاد برانسكى ببورش إلى مكتب الملازم .

وكان يجلس فى الطريق المقابل من الغرفة رجلان آخران غير أنهما لم يتدخلتا فى الأمر ، والمقابلة جرت بين ماليز وبورش شخصيا .

وسأله الملازم

- إذن ماذا قررت ؟

هل أنت مستعد للكلام ؟

فأجابه بورش بوهن ظاهر :

- لو أنك تفتش عوضا من أن تكفى بتعذيبى فإنك تحدد المجرم حتما .

- لقد فتشت ، كنت على موعد مع زوجتك نهار البارحة بعد الظهر .. وحاولت أن تكون حازماً معها .

كما وإنك توقفت فى المفهى المجاور لتجرع كأسين بسرعة .

- لقد كنت ثملاً يا بورش والرجل الذى سقاك الكأسين لاحظ ذلك .

وبالفعل كان قد جرّع كأسين .

غير أنه لم يكن ثملاً إنما مضطرب الأعصاب فقط .

ثم صعدت فى الساعة الخامسة سلم منزلها .

وقد شاهدك أحد الجيران واسمه رابيون .

كما شاهدتك حارسة البناية السيدة كورتز .

لقد شاهدك ندخل المعمر ثم تضغط على جرس الباب .

كان هذا صحيحاً ...

فقد بهره ضوء النهار وانحنى محدقاً بجانب الباب ليقراً الاسم

يجب أن يقرع الباب المراد ليفتح له .

ثم ردت عليك .

وصعدت ومكثت هناك نصف ساعة .

واخذت قرارا عنيفا ثم طعنتها بسكين المطبخ وبعدئذ هرعت
إلى الأدراج وفتشتها وتفحصت كل شيء فيها .

- فماذا كنت تريد ؟

- لا شيء ...

قال بورش إنني لم أكن هناك .

ونزلت في الخامسة والنصف بأدى التعب والإنهاك وكان وجهك
مخفرا .

هكذا وصفك رابيون .

- وهذا طبيعي .

كيف لا يخفر وجهه ولا يضطرب عندما يكتشف جثة المرأة
التي كانت زوجة له وهو معها الآن على خلاف .

كيف لا وعندما يفكر في المأزق الذي سقط فيه .

هذا ما كان يحدث فيه بورش نفسه .

وتابع مالميز قائلا :

وفى الساعة السادسة إلا الربع اتصلت بالهاتف بالآنسة فانديك
لتلغى موعدك فى المساء .

وقلت لها بأنك لم تر زوجتك ولم تكن عندك الشجاعة لمقابلتها .
ولكنك تكذب يا بورش .

وفكر بورش بنفسه قائلاً :

- طبعاً إنى أكذب .

من غير الوارد أخلاقياً زج إليز فى هذه القضية .

لم أرد مطلقاً مشاركتها لى فى هذه الفظاعة ولكنى فشلت فى
هذا أيضاً .

ولماذا لا تحاول معرفة من كشف كارين أمس .

سأله بورش بصوت متجههم :

ولماذا أقول أشخاص آخرون فى البناية لماذا تصنع بهم ؟

وقال له ماليز :

هناك عشر شقق فى البناية ، خمس منها فارغة إذ إن أصحابها
فى فرصة نهاية الأسبوع وباستطاعتهم إثبات ذلك .

ثم هناك تلك العجوز ابنة ٩٥ سنة فهي لا تستطيع رفع السكين فكيف بالقتل ؟

وهناك أيضا الزوجان الموحدان في الشَّقَق الثانية .
كانا في بيتيهما وعندهما بعض الأصدقاء وقد تحققنا من ذلك ..

كما وأنه توجد الفتاة التي في الطابق الثاني فقد كان عندها شخصان يشاهدان التلفيزيون .

وأخيرا رابيون هذا الذي شاهدك ووصفك لنا .

وصرح بورش قائلا :

رابيون ؟ هو أيضا ؟

كيف كان يبدو ؟ وكيف تعرف أنه ليس هو قاتل كاترين ؟

لأنه كان على السطح يتكلم مع الحارسة وهما اللذان شاهداك .

اسمع يا بورش إننا نعرف عملنا وقد مضى علينا زمن طويل ،
زمن نقوم فيه بهذه الأعمال .

لقد درسنا كل الإمكانيات من جميع الوجوه ولم نجد إلا جوابا

واحدًا هو أنت .

ولكني لم أكن هناك .

إن بصماتك كانت هناك .

وتتابع الحوار على هذا النمط عدة ساعات وماليز يتتبعه نقطة نقطة .

فبصمات الأصابع مع نقط الدم على الحذاء الذي كان يلبسه أمس والقطعة الصغيرة من سترته التي وجدت عالقة في زاوية المكتب - مكتب كاترين - إن هذا كله كان من الأدلة والبراهين القاطعة الواضحة .

وواصل ماليز تدميره بأسئلته ويرانكسي يرجوه ، وكل واحد كان يجرب بمفرده بطريقته غير أن الرصاصة كانت تعود دائما إلى ماليز الذي يبدو أنه حاقده على بورش .

ويتتاب هذا الأخير شعور بالشراسة والحقد ضده .

لم يكن لهذا التصرف أي سبب سوى أن هذين الرجلين هما الآن خصمان وكل واحد يحاول إثبات وجهة نظره .

فالمضابط موقن كل اليقين بأن بورش هو الجاني وبورش برئ

من التهمة المنسوبة إليه .

ومن هنا جاء هذا النفور بينهما عند أول لقاء لهما .

ودافع بورش ما استطاع عن نفسه .

وكان يهز رأسه بعنف ولكنه أخذ يفقد الأمل والإرادة شيئا فشيئا .

وبدأ الفراغ يتسع في دماغه ثم وجه نظره إلى يرتسكى وشجعه هذا الأخير بحركة من رأسه وقال :

- هيا يا بورش أنت تعرف أنك كنت هناك ، ولماذا تحاول الإنكار ؟

صحيح لماذا يحاول الإنكار ؟

صحيح لماذا يحاول الإنكار ؟ وماذا يفيد ذلك ؟

إذا اعترف بوجوده هناك قد يتركوه بعض الوقت لشأنه ؟

يتركوه ليرتاح .. فهو منهوك القوى متعب

فالأدلة تثقل عليه .

وفوق كل هذا لم يكن بذلك الكذاب العتيق اللبق .

إنه يؤمن بالحقيقة وبالعدالة ..

إنه يؤمن بطبيعة البشر ..

وفرك جبينه قليلا ، ثم استلقى على مقعده إلى الخلف وحاول الكلام . غير أن صوته اختنق في حنجرته وأخذت يدها ترجفان ومعدته تهلر ، وشعر بضيق في نفسه .

ثم قال بصوت كأنه البكاء :

نعم كنت هناك .

ولكن يا للفرابة .

بعد اعترافه هذا شعر بشيء من الارتياح .

- فعلا ذهبت إلى شقتها ووجدتها ممددة على الأرض قتيلة .

- لقد حصل ذلك قبل دخولي مباشرة .

- لقد أمسكت بسماعة الهاتف وكدت أن أتصل بالبوليس

ولكنني عدت وخفت من أن أتهم .

- هكذا فكرت وأرجعت السماعة إلى مكانها وأخذت أفتش

في كل مكان .

- لقد فقدت عقلى .

- وبعد برهة انتهت وقلت فى نفسى إننى أتصرف كالأبله
فماذا أصنع هنا .

- وأخذت أمسح البصمات ، بصماتى وبعد ذلك خرجت وذهبت
إلى بيتى بواسطة المئزر .

وسأله ماليز :

- من الذى فتح لك الباب ؟ وكيف دخلت إلى البناية ؟

- قرعت على الجرس أولاً .

تقول إنها كانت ميتة حينئذ فكيف يمكن أن تفتح لك .

- إن إجابة السؤال تكمن هنا .

قال بورش بحدة :

- ولأجل ذلك ترانى أحضر فى رأسى أن القاتل كان هناك
عندما قرعت الجرس .

- إنه بنى مخططة على هذه النقطة .

- هل التفتت بأحد على السلم ؟

- كلا ... يجب أن يكون قد هرب بواسطة المنفذ الذى يؤدى إلى
السطح ، سلم الحرائق .

كان سلم الحرائق مدهونا حديثا ولم نجد عليه أى أثر .
كما وأن الدرج الذى يؤدى إلى السطح كان يعلوه الغبار ولم
يمس منذ عدة أسابيع .

- أين ذهب إذن ؟

قال ماليز ساخرا :

أين ذهب ؟

وقال بورش بتمهل :

- كان يوجد شخص هناك يجب أن يكون هناك .

واغنى ماليز إلى الأمام كما لو أنه استعد ليستلقى بورش فقد
بدا عليه أنه سينهار على الأرض وقال :

يجوز أن يكون قد ضغط على جرس الجيران .

ورفع بورش مسرعا وقال :

- أيها الملازم إنى أقول الحقيقة الآن .. كل الحقيقة .

- كان بإمكانى أن أقول لك نعم ضغطت على زر الجيران ولكن هذا غير صحيح .

لقد تفحصت جيدا المكان وقرأت اسمى هناك .

- فكارين كانت ما تزال تستعمل أحد بطاقتى الشخصية واضحة أمام اسمى كلمة (السيدة) بالحر الأحمر .
- هذا صحيح .

قال ماليز وظهرت على شفتيه ابتسامة عريضة :

.. بينما عض بورش على شفتيه .

لقد غرروا به .

نقد سرح له الحظ غير أنه لم يعرف كيف يستفيد منه .

ونفض ماليز من مقعده وقال موجهها كلامه ليرسكى : هيا بنا نقوم بزيارة لشقة السيدة بورش . فباستطاعته هناك أن يقول لنا كل شيء كيف فام بعمله مع المكان الذى أخذ منه السكن وكيف قتلها .

وبعد أن ابتسم ماليز قليلا تابع :

- سيكون لعملنا هذا الوقع الحسن يا لو .

- إننا سننتهى من هذه القضية بأسرع ما يمكن وذلك قبل أن يعود رجال الأدلة الجنائية .

وخرجوا من أحد الأبواب الجانبية وجلس بورش فى المقعد الخلفى من السيارة بين الملازم ويرتكى بينما جلس فى المقعد الأمامى شرطيان آخران .

وانطلقت السيارة بسرعة فى الشارع ثم توجهت نحو الجنوب .

- إنى أعرف ماذا حصل .

قال بورش :

كان القاتل على علم بمجيئى .

ولذلك انتظر حتى أرن الجرس ففتح الباب بالمفتاح وتركه مغلقا ونفذ عمله ثم اختبأ بينما كنت أصد السليم .

وأيّن اختبأ ؟

فلا يوجد خزائن ولا حمام ولا أى شىء يستطيع الاختباء فيه .

- إذن يكون قد ذهب إلى شقة أخرى .
- قال بورش بصوت أجش :
- إن رايبون يسكن هناك .
- وهو الذى قتلها .
- لقد كان فى الشارع عندما قرعت الجرس .
- عليك أن تثبت ذلك .
- واسترخى بورش على المقعد .
- وأخذ شعوره بتضاعف بأن رايبون هو قاتل كارين .
- وكارين هى التى أجبرته على ذلك فى إحدى نوباتها العصبية .
- ولكن كيف بثبت هذا ؟
- لم تكن هناك أية شجرة فى الأدلة والبراهين .
- فإما أن يكون دماغ بورش منهك متعب أو أنه لا يوجد نقطة
- ضعف .
- وأخذ يسأل نفسه مدة من الزمن فيما لو لم يكن هو الفاعل
- الحقيقى .

- كلا ...

قال بصوت عال وحازم .

وربت برتسكى على ركبتيه وهو يقول له :

- اهدأ .. اهدأ .. إننا لم نصل بعد .

ولم يشاهددهم يدخلون سوى بعض الأشخاص فقط .

لقد نزلوا من السيارة وسار بورش وبرتسكى أولاً ثم الملازم وأخيراً الشرطيان .

واغنى برتسكى فوق بورش ليفتح الباب الزجاجى للمدخل ودخل بورش بينما بقى برتسكى ممسكاً بالباب ليدخل الآخرين .

قال بورش :

كانت الشمس تلمع .

... وانتظرت بعض الوقت حتى تعود نظرى على العنمة .

- ثم تعرفت على بطاقتى الشخصية وصفطت على الزر هكذا .

واغنى على الجرس الثانى من الطرف .

- ماذا تحاول أن تبرهن لنا ؟

قال ماليز :

- إن هذا ليس جرسها .

- إنه جرس السيدة هنشو .

المرأة المعجوز ..

- هنا ضغطت أمس .

ولكنك قلت لنا بأنك عرفت بطاقتك الشخصية المكتوب عليها

بالحبر الأحمر كلمة السيدة هل تتذكر ؟

- نعم ... ولكن .

- إذن .

- انظر جيدا .

وانحني بورش ولاحظ خطأه ثم سمعت منه همهمة .

واستدار وفتح الباب .

وابتدأت فكرة عامضة تتبلور وتتجسد في رأسه غير أنه لم

يستطع التفكير بوضوح .

- دلنا أين يمكن لأحد أن يختبئ .

قال له ماليز :

وأخذ بورش يتفحص الرواق .

إنه فارغ ليس فيه أية خزانة ولكن ..

إن ساقى بورش أخذتا ترتجفتان قبل أن يصل إلى نصف الطريق للطابق الأول .

لقد كان السلم ضيقا واثكأ على يرتسكى .

إنكم تريدون أن أعيد عليكم تماما ما فعلته نهار الأحد أليس كذلك ؟

قال بورش وهو يعبث بحاجبيه :

- نعم .

وتابع صعوده بخطوات مرتجفة .

وفى الطابق الثانى لا توجد أيضا أية خزانة ما عدا بابان يؤديان إلى شقتين مختلفتين .

واستدار وأخذ يصعد إلى الطابق التالى .

واستعدا الشرطيان للحاق به فيما لو حاول الفرار .

وسمعت بعض الأصوات فى مكان ما فوقه .

يوجد أحد هناك فوقنا .

أظن أنه صوت المفتش ..

سيرانا نقفل القضية أليس كذلك يا لو ؟

وأجابه يرتسكى بهمهمة قصيرة بينما تابع بورش صعوده وفى

أول الطابق الثالث توقف لم أقرأ جيداً رقم شقتها لقد كان الرقم ٢

وليس ٤ .

وبينما كان يرتسكى يلاحظه جيداً انجّه بورش نحو الباب

الأخير .

وقرع عليه بشدة وهو يقول :

- لقد دخلت إلى هنا .

- وقالت لى المرأة أين أجد كارين .

واستعد ماليز أن يحتج ولكن الباب انفتح الآن وظهرت منه

المرأة العحوز بشعرها الأبيض وابتسمت .

لقد دفقت على جرسى .

قال بورش وهو يأمل بأنها ستعرفه .

- آه .. نعم .. ماذا تريد ؟

- هل تتذكرين يوم الأحد الماضي ؟

- طبعاً .

وظهر في عينيها بريق خفيف من الفرح .

- هل تتذكريني ؟

- كنت أسأل عن السيدة بورش .

وعبست قليلاً ثم قالت :

السيدة بورش ؟

تلك السيدة التي ...

وارتجفت شفتا العجوز وارتدت إلى الوراء خائفة .

وسألها ماليز :

- هل رأيت هذا الشخص قبل الآن ؟

وبعد أن هزت برأسها قالت :

كلا وإلا لكنت تذكرت أيها الفتى -

وانتظرت قليلا وبما أنها لم تسمع أى كلام دخلت وأقفلت الباب وراءها .

واجه ماليز نحو بورش وهو يقول :

تعال .

فمهما حاولت فلن تستطيع خداعنا .

- ولكنكم ألم تلاحظوا أنها خرفانة لا تتذكر شيئا .

- لقد قالت إنها لم ترك أبدا .

وشعر بورش بقواه مخور .

لقد كاد أن يخرق الطوق وتظهر الحقيقة ولكنه عاد وأقفل حوله من جديد .

ولكن إذا عرفته العجوز فماذا يثبت ذلك ؟

- لا شيء طبعاً .

وعندما وصل بورش إلى الطابق الرابع اضطر أن يخفف سيره وانكأ على الجدار إنه متعب للغاية ...

ولم يكن يقدر أن يسير خطوة واحدة أكثر .
... وسمع الأصوات الآتية من جانبه .
لقد أصبحت واضحة الآن إنها تصدر من شقة كارين
بجانبه .

- هل انتظرت هنا ؟

سأله ماليز .

.. وبما أن بورش لم يجب صرخ فيه الملازم ثانية وهو يقول :
هيا أسرع فكلما أسرعت فى قول الحقيقة كلما اقتربت من
النهاية واسترحت .

فأخذه ماليز من ذراعه بعنف وجذبه .

وشعر بألم وتحرك تفكيره بعد ذلك .

وظهرت الحقيقة أمامه بوضوح .

لقد لمعت فى رأسه لمعان البرق وأنارت له دماغه وأخذ يتقدم
ببطء .

وفى الطابق الرابع قرأ هذا الاسم على أحد الأبواب

(ريتشار رايبون) .

وألقي بورش نظرة خاطفة على يرتسكى حولت انتباه الرجل
إليه بصفة خاصة .

ثم لمس على كتفه فيها .

وشعر بورش بقوة صلابة تحرى فى كيانه وبشيء جديد مفعم
بالأمل بثبات تفكيره .

وقال بصوت رنان :

- لقد عرفت .. عرفت الآن .. فهت كل شيء ..

ونتم يرتسكى بكلام غير مفهوم .

.. بينما أخذ ماليز يشتم .

وصرخ بورش بصوت عال حاد سمعه الجميع .

رايبون - يجب أن يكون القاتل أحد الذين يسكنون البناية .

إن رايبون هذا قد غير كبسات الجرس .. جرس كارين وجرس
المرأة نهار أمس وعاد فى الليل بعد الحادثة وأعادهما إلى مكانهما .

إننى لم أخطئ فقد قرأت اسم كارين بوضوح .

وكان جرسها الثانى من البمين .

وسمع بورش أحد الأشخاص ينزل على السلم بسرعة وشاهد
المفتش يستمع إليه بانتباه كلى بينما تابع بصوت واضح :

- ألا تفهمون ؟ ..

- لقد قتلها رايبون قبل أن أصل .

ثم بعد ارتكاب الجريمة نزل فى المساء وأعاد الأجراس كما
كانت من قبل .

وهذه الأجراس هى البرهان الحساس الفعلى لما أقول .

إن بصمات أصابع رايبون يجب أن تكون على قفاها .

وانفتح باب رايبون فجأة وظهر منه رجل أحمر الشعر قوى
العضلات واتجه مسرعا ينزل السلم الذى يؤدى إلى الطابق الأرضى
وهجم عليه الشرطيان وأمسكا به فصرخ بهما :

اتركونى .. اتركونى ..

غير أن عينيه الشاردتين خانتاه .

وهنا قال المفتش لما ليز :

يا للشيطان ماذا كنت تحاول يا ماليز أن نجعلنا نعتقد .
وتنفس بورش الصعداء .
تنفس نفسا طويلا وجلس على الأرض يرتاح .
... لقد انكشفت الجريمة وخلص من المأزق .
... وفي المساء سيقابل إليز استعدادا لأبام جميلة قادمة فقد
انتهت متاعبه .

الهدية

الهدية

كان ثمة نشارة خشب كما يوجد عند القصابين تغطي أرض
الحجرة التي وقف فيها جاك كلوزون بانتظار الرجل الذي يتأهب
جاك لبقته ، ومهما يكن هذا الرجل قد فعل فإن جاك لا يكرهه ،
ولكن لا بد من أن يموت ولا بد لجاك من أن يقتله كلا ، ليس بدافع
البغضاء بل بحافز الحب للونا .

وكان لا يكف عن مخاطبة نفسه قائلا :

- لن أكون وحيدا . ولكن لن يكون سوى .. وهو لن ينحو في
أية حال ..

ولكن عبثا كان يحاول إقناع نفسه . وكان كلوزون يحس في
حنجرته جفافا غريبا فيقاوم الرغبة في التنفيذ بكل قواه .. أنوار
قوية ، قوية بشكل هائل ، كانت تسقط من السقف في الطرف
الآخر من الحجرة فتفسره غمرا ، أما الطرف حيث يقف فكان
مظلمًا ، والرجال المحيطون به كانوا يلفون ثقل أجسامهم تارة على

هذا الساق وطورا على الأخرى وهم يعملون بعصبية ، وتوقف السعال بغتة عندما فتح الباب فى الطرف ، وتصلب كلوزون وهو يناضل الرغبة التى اعترته فى ترك ما كان يمسك بيده وإطلاق ساقيه للريح .

ودخلت جماعة من الناس ولكن عيني كلوزون لم تر منهم غير الرجل الذى كان يرتدى قميصا مفتوحا .

وبينما كان يراقبه غمر الرجل الذى كان وجهه كالورق بعينه ورطب شفثيه بلسانه

‘ لا أستطيع فعل هذا ’

هكذا كانت أفكار كلوزون تدور فى رأسه كأنها الفئران المحتبسة فى المصيدة ..

لن أفعله لن يستطيعوا إيذاشى إن أنا رفضت .

كان الرجل يتقدم بخطى ثابتة ورأس مرفوع وفاحت رائحة الطرية كانت رائحة الخوف .

بدأ كلوزون يتحرك ثم تذكر : على أن أقدم . يجب أن أفعل . فى جميع الأحوال يوف يموت . لقد قتل بريئا ..

وأوثق الحراس ذراعى الرجل ذا القيسص المفتوح بحركات سريعة
وشدوا الوثاق بإحكام . وقرأ له الم عرف كلمات فى كتابه الصغير
وفوق قلبه علقوا دريثة

وبدأ الرجل يؤرجح رأسه يمنة ويسرة وظل رأسه يتأرجح بعد
أن سقطت عليه الطلقات .

أحصى جاك كلوزون نقوده خمسة وعشرين دولارا هذا قليل
وبخاصة لقتل رجل . وارتعشت يده فجأة عندما راودته هذه الفكرة
.. كان باستطاعته أن يكسب مثل هذا المبلغ من عمله النظامى فى
صيحة واحدة . ويمكنه أن يشتغل ستة أيام فى الأسبوع . بفض
النظر عن الساعات الإضافية . إذن فما قيمة هذه الدولارات
الخمسة والعشرين ؟

لا قيمة لها .. حياة الإنسان لها قيمة فقط . زواج إنسان آخر له
قيمة وحسب . كان كلوزون يحب زوجته . وها هو الآن أقدم على
القتل من أجلها . وكانت المرة الأولى التى يكسب فيها منذ شهر
وهذا ما لم يتطلب منه العمل أكثر من دقائق معدودات شىء جميل
. هى تحب الهدايا . سوف يجعلها تبسم وتلقى بنفسها بين ذراعيه
ويعود كل شىء بينهما إلى أحسن حالاته .. هل يعود كل شىء

على ما يرام ؟

واتخذ الطريق الجديدة في العودة . وكانت أطول حقيقة ، وكان ثمة أخرى مباشرة لبلوغ مخيم العربات ، ولكنه كان يجب أن يتخذ الطريق الجديدة ، فقد أسهم في شقها وكانت قد أُنجزت لشهر خلا والحقيقة أنه لم يبق للونا الكثير من أرباحه الأخيرة . من النقود التي أعطاهما إياها كلوزون عندما كانت العلاقات طيبة بينهما ، ولكن انتهى أمر انتظارهما ، كان معتكر المزاج وهي كانت كذلك ، وكم تشاجرا وصاح أحدهما بعد الآخر .

هي كانت تواقفة إلى الاستقرار في مكان ما وهو راغب في الاستمرار والتنقل وتلك هي قضيتهما والاحتكاك المستمر بينهما تركها على حال من التوتر والغضب الدائم فقضيا الأسابيع الأخيرة مفترقين .

وكان أحدهما والآخر يعرف أن الفراق بينهما أمر محتوم . ويعرف كذلك أن رفيقه يعرف ذلك .

وكان الوضع بينهما جحيما حقيقيا فهو راغب في لونا رغبة عنيفة .

وكان جاك يعرف أن لا بد له من فعل شيء ما ليثبت لها أنه

راغب فيها . وكان لابد من أن يكون هذا الشيء خارجا عنهما .
كان منظر الرجل المتأرجح الرأس بمنة وبسرة ، كما لو أنه
يبحث عن مخرج . وهو يعلم أن لا مخرج له . ثم العلفات التى
جرثت جسده ..

ولدى هذه الذكرى المستعادة الخنى جاك فوق مقود سيارته
وانطلق مسرعا وقد داخله الأسف لأنه اتخذ الطريق الأطول لأن
صره كان قد نفذ بانتظار بلوغ مخيم العربات وتقديم دليل حبه
للونا .

ولونا تحب دائما أن تقدم لها الهدايا .. وشرع يضحك . ولكنه لم
يشعرها بعد . بيد أن هذا لن يستغرق وقتا طويلا . وكان ذلك
اليوم هو الذى تظل فيه حوانيت المدينة الصغيرة مفتوحة حتى
ساعة متأخرة ، ورأى لافتات النيون تومئ إليه داعية بينما راح
يصف سيارته بعناية .. معظمها كان أحمر . أحمر لون الدم .. الدم
الذى خضب نشارة الخشب عندما انصبت الطلقات على الرجل لم
يصرخ . زبحر فقط ، ثم انحبس الدم ..

سيقدم دليل حبه للونا .

عندما لم ير جاك نورا فى العربة اعتقد أن لونا ربما آوت إلى

سريها . سيوفظها في هذه الحالة .. لا يمكنه أن يظل وحيدا لأن مع هذا الثقل الذي يرهق عقله ويحيط على قلبه من أجل لونا فعل ذلك . ولونا وحدها تستطيع أن تعيد إليه توازنه .. بين ذراعيها فقط يقدر على النسيان .. ربما تكون قد استلقت في الظلام كما كان من عاداتها أن تفعل أحيانا . وبهدوء فتح الباب . ونادى ملطفا صوته :

- لونا ...

لم يخلق جوابا . وتبينت عيناه في الظلام أنها لم تكن في السريز .. وزبحر وأضاء النور .

دفع النور المفاجيء جعله ينتفض ويشتم ، وخلال لحظة خيل إليه أنه يرى رجلا تحت النور موثق الذراعين مع دريئة دامية على صدره ، ارتعاع كلوزون ارتياعا هائلا وجمد في مكانه بانتظار هدوء صربات قلبه ، وراح يتفحص العربة بنظراته .

وجد الفوصى الشاملة تعميها فالثياب مبشرة في كل مكان والسرير أشعث وعلى الأرض سلة طافحة بالأوراق ، مناديل كليكس ملوثة بأحمر الشفاه وغبار مسحوق الأرز ، كل ذلك جعله يتصور أنها مضت تقابل بعض الناس في مكان ما وتأكد بسرعة

أن أشياءها ما تزال هناك . إذن سوف تعود ولكنه لم يكن ميالا إلى الإقامة بانتظارها ، لن يقيم بمفرده .

وسأل بصوت قوى دوى فى العربية الخاوية :

ـ ولكن لماذا تكونين هنا ؟ أردت أن أقدم إليك الهدية التى اشتريتها من أجلك .

وطبع الياأس وجهه وهو يتأمل الصرة الملفوفة بشكل فنى . كان يملك المبلغ اللازم بالضبط . رقعتان من ذات العشرة الدولارات جديدتان تماما وواحدة من ذات الخمسة وعشرين دولارا للهدية والباقى ثلثا لزجاجة من خمرة (البوريون) ويبقى له بعض النقود الصغيرة .

حياة رجل : هدية . زجاجة بوريون : رجل وامرأة سعيدان وزواج نجا من المخاطر ، هل هذا صحيح ؟ لأنهما كانا هناك فهما حقا هناك ...

وعلى المائدة استقرت زجاجة من سعة ربع لتر وكانت فارغة تقريبا ، هذا أمر عادت لونا إلى ممارسته ، وهى تمارسه عندما لا تسير شئونها على ما يرام لو أنها فقط قاسمته الشراب ولكن ليس عندما تكون على مثل المزاج الشديد الاعتكار .

وبعد .. كانا واثقان أنهما سوف يتشاجران ويقذف أحدهما الآخر بتهديدات جوفاء لا معنى لها كمثل سائر مشاجرتهم .

ودوى صوت كلوزون فى أذنيه :

- هل يرضيك بقاؤك هنا ؟ إذن يمكنك البقاء .. وحدك ! أما أنا فماض .

ويعلو صوتها شديد النفاذ والحدة .

- سوف أقتلك ! سوف أقتلك !

وكان كل منهما يعرف حق المعرفة أن صاحبه لا يعنى ما يقول وتنهذ جاك وخسرج ليتوجه إلى عربة (روان) كان (أد) و (بيتى) روان الصديقين الوحيدين اللذين بقيا فى مخيم العربات أما معظم العمال فقد انصرفوا بعد إنهاء العمل على الطريق الجديدة . وحسدهم جاك . إنه يتوق إلى الشعور بالحرية فى أثناء الرحلات الطويلة عبر الولاية . أما لونا فلا .. وتنهذ من جديد .

وأحس بشغل مرهق يجثم على صدره . وتساءل عن نصيب زوجته فى بحث هذا الإحسان المضنى وعن نصيب الرجل الذى ساعد على قتله فيه أيضا .

ضجة منبعثة من الراديو والتليفزيون ، رائحة حساء أعد متأحرا
 همس حديث أصوات أطفال .. ربما لو أنهما رزقا أطفالا .. ولكن
 كلا منهما أراد أن يبدو عصريا أن ينتظر وتتم بغتة بمראה : ليتنا
 فعلنا .

وتبه إلى نفسه بغتة وهو يقرع باب عربة روان .

وقال فى نفسه وهو يقرع أن لا جدوى من ذلك . إنه يسعى
 عبثا ، وغار قلبه بين أضلاعه وخيل إليه أنه يفرق فى لجنة لا قرار
 لها . الهاوية بينه وبين لونا غدت شديدة الاتساع الآن بحيث لا
 تقوى هدية على ردمها ، لقد أقدم على عمل هائل بلا طائل .

لم يكن اد وببى يتشاجران أبدا فحياتهما هنية وهو يقول لها
 دائما : (أجل يا حبوبتى) وهى تقول له (طبعاً يا حبوبى)
 وكانت لونا هناك وما إن وقعت عينها عليه حتى لاحت على
 ثغرها ابتسامة هروب . إنه على حق . فقد فات الآوان . صحيح
 إنها لم تكن تظهر أمام الآخرين بمظهر المشاكلة الجارحة ولكنها لم
 تكن بالمقابل تمثل له مسرحيات الحب وكانت السيدة شينر العجوز
 موجودة هناك أيضا وهى صاحبة المحيم ضئيلة الجسم شعرها أبيض
 فى كل اتجاه . وكان سنها ومركزها يضيفان عليها صفة الامتياز

وهي لا تعدد وسيلة للإفادة من هذه الصفة .

وقالت بلهجة طليقة موجهة كلامها إلى القادم الجديد .

ها نحن أخيرا . أحسب أنك كنت في السوق بينما كانت زوجتك المسكينة هنا معنا . إذا راودتها فكرة هجرانك فلا تلم إلا نفسك . أنا أقول لك هذا يا كلوزوني وطريقتك هذه في الصراخ والتهديد .

وسأل جاك بابتسامة مغتصبة :

- ولكن ما قولك في طريقتها التهديدية هي يا سيدة سينر ؟ .

رفعت لونا عينها . ولحظ جاك أنها لم تعتبر قوله إهانة ، فهل يمكن بعد كل شيء ألا يكون الأوان قد فات ؟

واستدارت عينا السيدة العجوز اللامعتان صوب آل روان وهذا بل على أنها غير راغبة في إضاعة دقيقة أخرى من وقتها الثمين مع جاك .

قالت بلهجة أمرة كما لو كانت في بيتها .

- افتحي التلفزيون أريد الاستماع إلى الأخبار .

أطاعت بيتي على مضض كما بدا منها بينما كان اد يتحاشى

نظرات جاك .

وظهر وجه المذيع على الشاشة . وعلا صوته : (إنها الولاية الوحيدة التي يمكن فيها اختيار مثل هذه الوسيلة لتنفيذ الحكم ...)
ويبدو أن بيتي قد تضايقت فخفضت الصوت بينما قالت السيدة العجوز باضطراب :

- ها قد تأخرنا في فتح الجهار ففانتنا البداية .

وتابع المذيع :

- .. علقت دريئة فوق قلب المحكوم عليه بالإعدام و ...

وعلقت العجوز بانزعاج :

- أوه ! هذا هو الشقى الذى جاء من جنوبى الولاية وقتل شريكه .

- .. وكانت فرقة التنفيذ مزلفة كالعادة من متطوعين مدنيين مأجورين و ...

وارتعدت بيتي وقالت :

- أوه .. أفضل عدم الإصغاء إلى هذا الوصف ! .

وتقلص وجهها وسدت أذنيها براحتي يديها . وتبادلت مع اد نظرة . أما السيدة شير فلم تفارق الشاشة بنظراتها . وكان جاك كلوزون جالسا . متصليا لا يقول كلمة ، ثم إنه اجتاز الحجرة لينضم إلى لونا ويتناول يدها فلا يفلتها على الرغم من الجهود التي بذلتها من أجل تحريرها من قبضته .

- .. وفي هذه الأثناء كان عدد القتلى يزداد في الطوفان الذي اجتاحت كاليفورنيا .

قالها المذيع بصوته القوي الدافئ ثم راح يصف بعض الفرقى كما لو أنه يعد مميزات بعض مساحيق التجميل .

وما إن انتهت فترة الأخبار حتى انصرف جاك ولونا .

توجها إلى عربتهما دون أن يفوها بكلمة . وكان جاك يردد في نفسه : (لننتظر حتى ترى الهة . لننتظر قليلا) .

وما إن دخلا دون كلمة دأبا حتى اندفعت لونا تلتقط بعض الثياب الملقاة هنا وهناك لا رغبة منها في ترتيب المكان ولكن لكي تشغل نفسها بشيء ما وبدت حركاتها شاردة .

تناول الصرة الملفوفة بطريقة فنية ليقدمها إليها ولكنه لم يعرف

كيف يفعل . فقد عذبتة فكرة قاتلة إنها ترفض فتحها .

وأخيرا قال :

- خذى هذا الشيء لك .

وبدأ يفك الشريط ويزيل الورق ومن العلبة خرج قميص نوم ..

ونشره وقال :

- انظري هذا .

ولكنه لم يحس بالنبرة الفرحة التي شاء أن يطبع بها كلامه .

تركت لونا ما كان بيدها وتقدمت صوب جاك أو على الأصح صوب قميص النوم المصنوع من الدانتيل السوداء كما لو أنه قد سحرها .

- أوه .. كم هو بديع .

وأشرق وجه لونا وتغير حتى غدا كوجوه الأطفال مع أنها كانت تناهز الثلاثين .. وراحت عيناها تتفحصان بنهم قميص النوم .

وضته إلى صدرها ثم مررتة على وجهها لتتحقق من نعومته .

وقالت :

- جميل .. جميل جدا ..

وقال جاك :

- يسعدنى يا حبيبتى أنه أعجبك .

ولكن لونا من شدة تأثرها بالهدية بحيث لم تع كلماته .
وأراد معانقتها ولكنه خاف أن تظن أنه يريد شراء عطفها بهذه
الهدية .

وقال بتلطف ولكن بصوت أقوى هذه المرة :

- ماذا لو شربنا شيئا ما ؟

إنهما يريدان الاحتفال بزوال سوء التفاهم بينهما . وهو يريد
الاحتفال أيضا بنجاح خطته بعد الخوف الذى اعتراه من إمكان
فشلها .

وعاد يقول :

- ما رأيك فى كأس ؟

وعندئذ - وفجأة كما يسقط الستار - تبددت البسمة عن وجه

لونا .

وقذفته بسؤال :

- هل تفى زجاجة بالغرض ؟

وأجاب بلهجة مزددة :

- أوه .. أعنى .. أفترض .. إن نعم .

ولم يخالفه الفهم تماما . فعاد يقول :

- ماذا تقصدين يا حلوتى ؟

كانت واقفة أمامه جامدة باردة الوجه مقبضة الحاجبين وقالت

بلهجة ساخرة :

- هذا القميص الجميل ..

وسكنت لحظة ثم تابعت بفضب :

- كل هذه الدانتيل .. إنها جديرة بإغراء المرأة فى أعماق

خذه . امض واسترجع دولارك الخمسة والعشرين .. هذا يجب أن

يكفى لشراء كمية من الكحول تشكرك تماما . لو كنت مكانك لما

سمحت لنفسى بأن تصحو أبدا .

.. ما الذى حدث ؟ ما الذى سبب هذا الانقلاب المفاجئ ؟ لماذا فعلت ؟

وكان يسمع أقواله ترن كأنها عشرات الأجراس التى لا ضابط لها . خمسة وعشرون دولارا . خمسة وعشرون دولارا .. خمسة وعشرون دولارا .. وحدى فيها مأخوذا .
وسأل بصوت أجش :

.. كيف عرفت ؟

وصب بعض الويسكى فى كأس جرعتها دفعة واحدة . وعلا صوتها :

.. كيف عرفت ؟ اعلم إن كل من فى المخيم سوف يعلمون قبل حلول فجر الغد ، إن صهر السيدة سينر حارس السجن تلفن وأخبرها ، لقد نصيت صهرها ؟ رآك هناك ! أوه !

كانت تنتظر إليه بقرف ورعب .. لقد نسى ، لم يفكر لحظة واحدة فى ذلك .

وسألته لونا بوجه متقلص :

.. كيف استطعت الإقدام على هذه الفعلة ؟

ودوى صوته الغاضب بفتة :

- من أجلك فعلت ذلك ! هكذا رأيت أن أفعل ! من أجلنا لكى
أشترى هدية جميلة لك ، لكى أسعدك بها ...

ومشى إليها وقد طبع الألم وعدم الفهم وجهه ، ولمست يده
قميص النوم الذى كانت قد رمت به ، فرفعه وقدمه إليها فى
محاولة أخيرة .

ابتعدت لونا وهزت رأسها وقالت بصوت لطيف أشبه بالهمس :
- أوه ! كلا ! ليس لى ، لا أريد أن ألمسه مهما يكن من أمر من
تظننى بربك .

رأسه ندور ، الويسكى مع عدم تناوله الطعام والرعب المائل
فى مكان الإعدام ، والآن هذا .. ولكن لا مناص له من الرد على
سؤال لونا .

- حسنا ، إنه مجرم فى أية حال ، قتل رجلا . لأجل أن يشترى
هدية .

وأرضاه هذا المنطق فمال برأسه وراح ينظر إليها وخيم الصمت
لحظة ، ثم إن لونا ابتعدت وراحت تلتقط ثيابها وتنظفها على

عجل ، وجاءت بحقيبة ، كان فيها متقلصا .

ونظر إليها جاك بقلق لعشر دقائق خلت كان يظن أن زواجهما
أنقذه ، أما الآن .. وجفف العرق عن جبينه وسأل :

- لونا إلى أين ذاهبة ؟ أرجوك ..

ترنخت فى وقفرتها وقالت :

- إنى أجمع أشياءى لأمضى من هنا .. أما هذا .. هذا ..
فخلصنى منه .

ودفعت بكلتا يديها قميص النوم الذى كان ما يزال ممدودا
بيديه نحوها .. ترك جاك القميص الشفاف بحركة يائسة وصاح :

- كلا يا لونا .. يجب أن تبقى .. يجب أن ترتديه يا لونا . من
أجلك فقط فعلت ذلك ، من أجلك دون سوانك قتلت رجلا استحق
عليه حكم الإعدام .

ودخلت جماعة من الرجال إلا أن عيون الرجال المنتظرين لم
تتركز إلا على الشخص الذى يرتدى قميصا مفتوحا ، الشخص
الذى يغمز بعينيه ويرطب شفثيه بطرف لسانه دون أن يفوه بكلمة
، وبغثة فاحت رائحة عرقه القوية الطرية ، إنها رائحة الخوف ،

وكان وجهه على بياض كبياض الورق .

وأوثق الحراس ذراعيه بسرعة وقوة ، واحد منهم علق دريئة فوق قلبه وتمتم المعرف ببضع كلمات من كتابه الصغير .

وكان ثمة ممثلون رسميون عن حكومة الولاية ، الرجال الذين ينتظرون في الطرف الآخر من القاعة ، النور القوي يسمح لهم أن يروا لا يراهم ، هم المتطوعون .

جاءوا إلى السجن بسياراتهم وبعد قليل سوف يرجعون بعد أن ينال كل منهم ٢٥ دولارا (رقتان جديدتان من ذات العشرة وواحدة من ذات الخمسة) وكثيرون منهم سوف يتخذون الطريق التي شقت من جديد ، الطريق التي أسهم جاك كلوزون في شقها . وغمز جاك كلوزون بعينه من تأثير النور القوي ، كان وثاقه مشدودا جدا ، وبدأ يهز رأسه يمنة ويسرة كما لو كان يبحث عن مخرج مع علمه أن لا مخرج أبدا ، ورف بجفنيه ورطب شفتيه وانتظر كي ينفذ فيه حكم الإعدام .

إفرايم دافيدسون

حيلة امرأة

حيلة امرأة

حينما شاهدت ريتا للمرة الأولى لم أحس بناحيتها بميل كبير
بيد أنكم لا ريب تعرفون كيف يكون الإحساس الأول .

دخلت ريتا محلنا هى وزوجها وحموها . كانت امرأة قوية الجسم
طويلة القامة وجميلة . حتى وهى تلبس بنطلونا أسمر وقميصا
رجاليا وصدرية من الصوف كانت تبدو أنشى وفاتنة . والمرأة
عندما تلبس حذاء جيدا يبرز جمال كاحليها ورشاقتها فإنها تبدو
جميلة حقا . ولم ألق عليها غير نظرة فضولية طبعاً ولكن أخى
الأصغر آل بقامته التى تبلغ ستة أقدام لم يستطع أن يحول عينيه
عنها . كانت تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها ، وكانت أقوى من
زوجها .. كانت توحى من أول وهلة بأنها رجل من رجال الجبال
يلبس ثياب الصيد . ولكن كلما أمعنت النظر كلما لاحظت
قسمات جسدها المكتنزة وثنائيا شفقتها الغليظتين وعينيها
الباردتين الجريئتين . وخلاصة القول ما إن تمنى النظر إليها حتى

تدرك أنها ذات شخصية قوية .

وكنا قد شاهدنا الرجلين قبل ذلك قد أقبلا إلى محلنا فى الحريف الماضى ، وأظن أن من الأوفق أن أنكلم كلمة عامة عن المحل الذى ننقله فإننا نقيم على الحدود الكندية ولا يفصل بيننا وبين كندا إلا غابة كبيرة كثيفة وأراض لا قيمة لها . ليس هناك أنهار ولا مراكز حراسة أو حتى جمرك . والحق أنه ليس هناك أى داع للحراسة أو الجسرك ، فالغابة عبارة عن صخور وأراض لا يمكن أن يخطر لإنسان عبورها ، وقد ذكر لنا أنى أنه أثناء تحريم الخمور خطر لبعض المهربين أن هذه الغابة هى المكان المثالى لنهرب الخمور على ظهورهم ، وقد حاول ثلاثة منهم ذلك .. وأم يعد منهم غير واحد اقتنع بعد نجاته بسخافة الفكرة التى طرأت، لهم ، فإن هذه الغابة من المستحيل اجتيازها أثناء الشتاء تماما ، أما باقى الغابة فهى ملبئة بالصخور الغريبة والمستنقعات والأشجار المتشابكة والشعابين الضخمة والدبية والقطط الجبلية . ليس فيها أية طرق حقا ، وإذا حدث وضل أحدهم فإنه هالك لا محالة ، وقد سمعت أن رجلين من الهنود الأصليين يقيمان فى مكان ما منها وأنهما يبيعان جلود صيدهما فى كندا ولكننى لم أرهما قط .

ولم أضع قدمي في الغابة منذ أن كنت صبيا ولا يختلف إليها
 أي إنسان عاقل ولم أفكر في اجتيازها على الرغم من أن عائلتي
 تعمل في هذه الناحية منذ أكثر من مائة عام . ويتردد على محلنا
 بعض الزاهبين وندبر أمورنا بطريقة لا بأس بها . ولم أكن أدرى
 أن الأراضي التي لا قيمة لها سيكون لها أية أهمية ذات يوم ولكن
 ما أن انتهت الحرب حتى أقبل رجل غني وأبدى رغبته في الصيد
 داخل الغابة . وحاولنا أن نشنيه عن غرضه ولكنه قال إنه سبق أن
 اقتنص الأسود في أفريقيا وفي أماكن أخرى ، وانتهى بنا الأمر
 إلى أن يعناه بعض الأسلحة وطلبنا على وجه السرعة بعض أحذية
 الصيد ، وقد تكلف هذا كله ثلثنا باهظا طبعاً . حسناً .. توغل
 الرجل في الغابة وخرج منها بعد أسبوع ومعه جلد دب وأبدى
 سروره بأنه اصطاد في هذه الناحية . وكان رجلاً ثرياً ذا كثير
 الكلام ولا شك أنه أكثر من الكلام عن الأماكن التي ذهب إليها
 فقد أقبل بعض الصيادين واضطرونا أن نبيعهم ما يريدون . ولم
 يلبث أن عاد الصيادون بعد ذلك وأنفقوا أموالاً طائلة في سبيل
 الحصول على جلد الدب أو القط الجبلي ، بل إن بعضهم كانوا
 يأتون في طائفة ويهبطون في جنوب الغابة عند بحيرات خفية غنية
 بالأسماك .

ولعل هذا كان سببا فى ثرائنا فقد ظللنا نبيعهم الأسلحة والذخيرة وملابس الصيد الغالية ، وكانوا يقضون ليلتهم عندنا وعند عودتهم نعنئ بسياراتهم . وكما سبق لى القول لا بد أن يكون على جانب من الثراء ، وكنا نربح من هذه العملية فى تلك الفترة أكثر مما نربحه بقية السنة .

وكان جيم هاريس خموى ريتا رجلا قصيرا ربعة القوام بناهز الستين عاما ، ولا ريب أنه تزوج فى سن كبيرة لأن ابنه الوحيد جيم كان فى الثانية والعشرين من عمره ، وقد أقبلا لأول مرة فى الحريف الماضى ولكنهما أقبلا الآن للمرة الثانية ، وكانت ريتا زوجة جيم الشاب تصحبهما . وقد قدمت لهم وجبة شهية وآوا إلى فراشهم فى وقت مبكر . وفى صباح اليوم التالى وكان يوم إثنين استقلوا سيارتنا الصغيرة وانطلقوا فى جوف الغابة ، والواقع أن هناك بداية طريق يمتد نحو خمسة عشر ميلا فى أرض وعرة داخل الغابة ، ولكن بعد هذا الطريق لا بد لك من السير على الأقدام ، وقد أراد آل فى البداية أن نهد طريقا فى جوف الغابة ولكن آل بعيدا عن الذكاء فقد أوضحت له أننا إذا مهدنا الطريق وقمنا بأية تحسينات أخرى فلن يأتى أصحابنا الأثرياء بعد ذلك لأن الذى يجذبهم إلى هذه الأماكن هو وعورتها وصعوبة طرقها .

وقد كان من المتفق عليه أن تبقى أسرة هاريس أسبوعا ، ولم
نفكر فيهم بعد ذلك لحظة واحدة فيما عدا (آل) الذى كان يحلم
بريتا حتى بعد ظهر يوم الأربعاء عندما عادت السيارة الجيب
مصدرة صوتا صاخبا ، وكانت ريتا هى التى تسوق فى حين كان
زوجها طريقا فى المقعد الخلفى . كانت تبدو كما لو أنها أصيبت
بالجنون بشعرها الأسود الطويل المنكوش والمتهدل فوق كتفيها .
وكان وجهها شاحبا تملوه الجروح ، وثيابها ممزقة وقميصها
مصبوغا بالدم . وكان جيم غائبا عن وعيه . كانت رأسه ووجهه
فى حالة يرثى لها وكذلك كتفه وذراعه الأيمن . كان شاحبا نحوب
الموتى ، وخرجت (ريتا) من السيارة وحملت زوجها بين ذراعيها
كما لو كان طفلا وذهبت به إلى فراشه فى حين أسرعنا لكى
أحضّر دكتورا .

وعلى الرغم من أن ريتا كانت على وشك الإغماء فإنها ظلت
بحوار فراش زوجها بينما كنا ننتظر مجيء الدكتور آتش . وقد
تناولت طعامها بحوار فراش زوجها ولم تشأ تغادره لحظة ، ومع ذلك
فقد بقيت أنا وزوجتى وآل معها طوال الوقت . وإذا لم يكن هناك
ما يفعله آل فإنه كان يقضى وقته فى النظر إلى ريتا كما لو كان
طفلا ينظر إلى شىء يعبده ويقدسه .

وبعد لحظات استطاعت ريتا أن تتمالك نفسها شيئا ما وأن تتكلم قالت لنا إنهم نصبوا خيمتهم فى ممر صخرى يعرف باسم شيل جوت ، وأن هاريس الأب سمع أثناء الليل أصوات حيوانات فخرج ليستطلع الأمر . وجلست ريتا فى الخارج بجوار الباب تنتظر عودته ، وعندما عاد تعثرت قدماء فانطلقت بندقيته وأصابته الطلقة فى بطنه . ويجب أن يكون الإنسان مجنوناً لكى يطلق رصاصة وحوله كل هذه الصخور . ولكنه تعثر وانطلقت الرصاصة صدفة ونجاة .

وكان جيم الابن راقداً فى فراشه وتسببت الطلقة فى انهيار بعض الصخور فوقعت فوق الخيمة وحطمناها وتل جوت يبعد بنحو عشرين ميلاً عن نهاية الطريق ، حيث كانت السيارة الجيب ووجدت ريتا نفسها بين رجلين جريحين جراحاً خطيرة ، وكان عليها أن تتخذ قراراً سريعاً وخطيراً لأنه لم يكن بمقدورها إلا إنقاذ واحد منهما فقط ، ولهذا حملت جيم الابن فوق كتفها وسارت به عشرين ميلاً ثم شئ تارة وتزحف أخرى ، وسارت تصعد وتهبط طوال الليل حتى بلغت السيارة الجيب مع طلوع النهار ومن محاسن الصدفة أن الحظ حالفها فلم تضل طريقها .

وكان الفرار الذي اتخذته قرارا قاسيا بالطبع ، فقد كانت تعرف أن الذي ستتركه سوف يموت حتما ، إن لم يكن بسبب الحيوانات المفترسة فبسبب جراحه ، وما كان في استطاعة جيم الأب النجاة وقد أصيب بجرح نافذ في بطنه ثم إن جيم الابن كان زوجها ، وكانت تجربة فظيعة لها وهي تمشي طوال الليل في جوف الغابة وعلى كتفها رجل محتضر ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنها امرأة فائقة الرقة والطيبة وقوية الشكيمة في الوقت نفسه خاصة وأنها امرأة صغيرة .

وأسرع آل وجاك فادو وهو مزارع هندي يعرف مسالك الغابة خيرا من أى شخص آخر إلى تل جوت (وسيتزوج آل ابنة جاك فادو بمجرد أن تبلغ السادسة عشرة من عمرها . والواقع أن أليس فادو فتاة جميلة ، ولكن حتى لو لم تكن كذلك فسيتمزجها آل لأنها الفتاة الوحيدة في المنطقة) وساعدت أنا وزوجتي ريتا بقدر الإمكان وحاولنا أن نقنعها بأن تأخذ قسطا من الراحة ، وكنت أنكر طوال الوقت في أنى أخطأت في حكمي عليها ، أعنى عندما رأيتهما أول مرة وظننت أنها دمية فاسية الملامح .

وحتى بعد أن أقبل الدكتور آش في ساعة العشاء رفضت ريتا

أن تغادر زوجها وبقيت جالسة في مكانها في نزع من الضباب منهوكة القوى زائغة البصر لأنها لم تذق النوم وظلت تحرق في زوجها لا تفارقه بعينيها . واسترد وعيه وقال لها إنه يحبها كل الحب قبل أن يعطيه الدكتور حقنة مومة . وتوسل الدكتور إلى ربنا أن نصيب قليلا من النوم وأن نستريح . ورفضت أن تتناول أى عقار ولكن عندما جئناها بمرتب في الغرفة تمددت فوقها ونامت بضع ساعات وهي لا تزال محتفظة بملابسها الممزقة المصبوغة بالدم . وعلى الرغم من أن الدكتور آش معروف بالوقاحة والغلظة فقد تأثر ، وكانت هذه أول مرة أرى فيها زوجنى تبكى ، وأخذت الإنجيل وراحت تقرأ وتصلى من أجل (ربنا) ومن أجل زوجها .

وبذل الدكتور آش كل ما في استطاعته ولكن كان واضحا أن جيم الابن لا محالة هالك . وانصلنا بيرستون تليفونيا لإرسال عربية إسعاف على الرغم من أن الدكتور كان يؤمن بأن جيم لن يستطيع احتمال الرحلة . وعندما سمعت ريتا حديثنا وكنا نظن أنها نائمة انهارت وراحت تصرخ بطريقة هستيرية وتتوسل إلى الدكتور لكى ينفذ زوجها ، ولكن جيم الابن كان فى حالة ميئوس منها ، وكان قد فقد الكثير من دمه ومات فى صباح اليوم التالى ، ولم تبك ريتا كثيرا عندئذ ولكن بدا عليها أنها متأثرة بالصدمة وبقيت جامدة

بحوار فراش زوجها وهي ترد بالكاد على أسئلة الدكتور لتحرير شهادة الوفاة .

وفي منتصف النهار عاد آل وجاك فادو وقالوا إنهما وجدا المكان الذي انطلقت فيه الرصاصة وأصاب جيم الأب وأنهما رأيا كومة من الأحجار والصخور وحطام الخيمة ، ولكنهما لم يجدا أثرا للجثة . وليس هناك من يعرف مجاهل الغابة مثلهما وقد فتشا الوادي من أوله إلى آخره . ومن رأيهما أن دبا ربما عثر على الجثة فنقلها إلى جحره . وعندما عرفت ريتا النبأ فيما يتعلق بجيم الأب انهارت تماما لأنها تركته هناك وأعتقد أنها أحست بالذنب . وقد أعطاهما الدكتور عندئذ حقنة مهدئة وأرقدتها زوجتي في فراشها . ولم يكن هناك أى سبب لكى تشعر بالذنب فإنه لم يكن فى مقدورها أن تحمل رجلين فى وقت واحد .

ونفضت ريتا فى النهاية كانت قد استجمعت بعض الشيء واستبدلت ثوبها بثوب آخر أبرز مفاصلها . ودهشت زوجتي وهي ترى ثوب ريتا الفاخر فى حين راح آل ينظر إليها كما لو كان يريد أن يأكلها . وهم بأن يطلب منها أن تتزوجه لولا أن زوجتي أقنعتهم بأن ينتظر لأن الوقت غير مناسب . وكان يتعين علينا أن

نعرف ماذا نفعل بجنة جيم الابن ، وقد اقترح الدكتور آش أن ندفنه فى مدافن القرية ، وكنا قد ألغينا طلب عربة الإسعاف لأن الرحلة ستكون طويلة حتى بلدة برسنون . ورأت ريتا أن هذه الفكرة طيبة لأن جيم كان يحب أن يدفن بجوار جثة أبيه وكان جاك فادو يقوم بالوعظ وأسرع آل فصنع صندوقا عاديا وهكذا واربنا جيم هاريس الثرى فى مقبرة القرية .

وكان الطبيب يتلطف على العودة إلى مدينة بريستون فى نفس الليلة . وقررت ريتا أن ترحل معه فجأة وقالت لنا إنها ستبعث من يأخذ سيارة جيم الأب فيما بعد ، ولكنها أصرت على صنع رخامتين لوضعهما فوق القبر تشهد بأن جيم الابن مات يوم ١٩ وأن جيم الأب مات يوم ١٦ وقضيت ما يقرب من ساعتين فى إصدار التعليمات اللازمة لصانع الرخام فى ليتل باف . وقبل أن ترحل ريتا أعطت عنوانها فى المدينة لآل ووعدت بأن تعطى خمسمائة دولار مكافأة لمن يأتى بجثة الأب لكى يدفن بجوار ابنه .

وبالرغم من أنى كنت أعرف أن ريتا أصبحت ثقت محلنا فقد اغرورقت عيناى عند رحيلها وانتحبت زوجتى فى صوت مرتفع فى حين تملك آل الانفعال والاضطراب . وعانقت زوجتى ريتا

وأعطتها هذه الأخيرة ثوبا أنيقا . وقال آل إنه مستعد أن يعيد إليها السيارة في أى وقت تطلب منه ذلك دون أى مقابل . واكتفيت أنا بأن شددت على يدها ورحلت أتساءل عن مدى تأثير هذه الفاجعة علينا . وكان الدكتور قد دار بعربته لكى ينطلق بها فى طريقه إلى برستون عندما أقبلت عربية بوليس مسرعة هبط منها رجلان ألفيا القبض على ريتا بتهمة القتل .

ولم أستطع . لا أنا ولا الطبيب أن نصدق ذلك . أعنى بعد كل ما عانت به ريتا كان هذا النبأ يبدو بعيدا عن التصديق . أما آل فقد اضطرتت أنا وزوجتى إلى العناية به لأن ذلك الغبى أو شك أن يعتدى على رجلى البوليس . لكننا لم نلبث أن عرفنا كل شيء فيما بعد أثناء المحاكمة .

فيبدو أن جيم الأب كان بخيلا جدا على الرغم من ثرائه ، ولم يكن يتخلى عن ثروته إلا بشق النفس ولم يكن الابن يملك شيئا . وكانت ريتا قد عانت من الفقر الكثير قبل أن تتزوج جيم الابن . وأدركت أن هذا الأخير لن يلبث أن يرث أباه بمجرد موته . ورأت فى الصيد فرصتها فبينما كانوا يعسكرون فى الوادى قال لها جيم الأب إنه خارج ليتمشى قليلا ، وكان جيم الابن غارقا فى النوم

وتبعت ريتا الرجل وأطلقت عليه رصاصة أصابته فى بطنه وفى
 نيتها أن تقول إن الأمر وقع فضاء وقدرا ولكنها لم تكن من أبناء
 المنطقة ولم تتوقع تأثير الطلقة النارية لأنها عندما عادت لكى
 توظف جيم الابن وتقول له إن أباه وقع له حادث وجدته يرزح تحت
 كومة من الأنقاض .

وراحت ريتا تفكر بسرعة . كانت قد درست قوانين الولاية
 قبل ذلك وكانت تعرف أن زوجها إذا مات قبل أبيه فإن ريتا لن
 تحصل على فلس واحد من أموال الأب . وأنها لو استطاعت أن
 تحتفظ بجيم الابن حيا وأن تثبت ذلك فإنه يرث كل شيء عندئذ
 وأن الإرث سوف يؤول إليها إن آجلا أو عاجلا ولهذا السبب بذلت
 الجهد الكبير وحملت جيم الابن خارج الغابة وجاءت إلينا لكى
 تستشهد بنا عند موته . أما الأب فقد ظنت أنه سيموت بعد بضع
 ساعات .

وما كان الأب ليعيش طويلا لو لم يره أحد الرجلين الهنديين
 اللذين يقيمان فى المنطقة ، فقد كان موجودا على بعد نحو ألف
 وخمسمائة متر وقد أسرع إلى مصدر الطلقة النارية لاستطلاع الأمر
 عندما سمعها ، وعثر على المصاب وحمله إلى الوادى حيث كان

أحد الرجال يصطاد فى البحيرة على ظهر طائرته الماشية . وحمل الرجل العجوز إلى طائرته وأسرع به إلى مستشفى كندى ولم يكتف الأثب بأن يذكر ما حدث له وإنما وقف على قدميه فى الوقت المناسب لكى يدلى بشهادته ضد (ريتا) عند محاكمتها بعد ذلك بأسبوعين .

ولا يزال آل يقول إن من سوء إرسال امرأة جميلة مثلها إلى الكرسى الكهربائى . وحتى زوجتى حكمت بأن ريتا زوجة طيبة لا لشيء إلا لأنها حملت زوجها خارج الغابة وحاولت إبقاءه على قيد الحياة مهما كانت دوافعها .

دعني أهرب

دعننى أهرب

كانت الساعة الواحدة والربع بعد الظهر عندما استيقظت فى ذلك الفندق من الدرجة الثالثة وعرفت أن الساعة كانت تشير إلى ذلك الوقت الذى تأتى فيه الخادمة لترتب الغرفة التى شعرت أننى أعرفها تماما وليست بالغريبة عنى رغم مكوثى فيها ليلة واحدة فقط .

ما إن فتحت عينى حتى رأيتها هى هى تماما كجميع الغرف فى تلك الفنادق التى تنتمى إلى الدرجة نفسها فى مدينة نيويورك ، بلد الأحلام ، ولأكون واضحا وأكثر صراحة أقول إن نفسى عافت تلك الحياة ، حياة التشدد التى أعيشها ، يجب أن أغير الجو وانطلق من هذا المحيط القذر رغم أن العين بصيرة واليد قصيرة كما يقول المثل .

ولا أقصد بتغيير الجو أن أستقل القطار فى رحلة خارج المدينة أو أن أدخل إلى ملهى جديد أو إلى حديقة غريبة بل ما أقصده هو الصعود من كعب السلة التى أنا فيها لأرى ما يوجد فوق حافتها

وخارج حافتها ، أن أصد وأقفز درجات السلم لأمتع نفسى بالذى فوق ، ولا فرق عندي إن كسرت رجلى أو حطمت عنقى بعد ذلك فالحياة وقفة عز فقط ، هل فهمت على أن ميامى كانت من المستحيلات بالنسبة لى وكذلك بلد وبها وكن ، فجيبي خاوى الوفاض فارغ إلا من دولار وعشرة ستيمايت هذا كل ما أملكه من حطام هذه الدنيا الواسعة الملأى بالملايين والمليارات ولم يبق أمامى إذن سوى محاولة النزول فى أحد تلك الفنادق الفخمة وشق طريقى هناك ، وقد يطردنى صاحب الفندق أو مديره وقد ألقى بعض الصعوبات فى الدخول إلى مرتع الأغنياء والمخطوظين ولكن إذا كنت لبقا حذقا وعرفت كيف أرتب ملابسى الوحيدة عندي والباقيين لدى ، على أنه طفرة من طفرات الحظ سأتمكن بها من التوصل إلى تأخير ذلك المصير حتى يفرجها الله ويأتى شيء من الغيب لا أكون أحسب له حسابا .

وقررت أن هذه الفكرة هى أجمل وأعظم وأحسن فكرة تفتق عنها دماغى منذ أن قررت الكف عن أكل العدس إلا فى الأرض المحرمة ، كان أول شيء قمت به هو التحقق من ملابسى فرفعت قدح الماء الذى كنت أضعه على درفة الخزانة الصغيرة بطريقة متوازنة قبل أن أنام تحسبا لكل طارق ، فقد يأتى لص أو نшал أو

فقير إليه معالي مثلى ليفتح تلك الخزانة أثناء نومي ، ولكن ما إن
يمد يده حتى يقع القدرح وأستيقظ عندئذ على صوته وأخلص
أمتعتي ، أخذت بدلتى وقميصى وربطة العنق المعلق بعناية وإنقان
، كذلك جواربى النى كانت قد نشرتها على النافذة بعد أن
غسلتها قبل نومي ، هاهنى الآن جافة وحذائى الذى نحت السرير
مسحته مسحة خفيفة من طرف الشرشف ليعود إلى لمعانه السابق
ورونقه الدائم ، وكذلك تناولت آلة الخلاقة التى كانت تحت الوسادة
ونزعت الشفرة منها ثم شحذتها على حافة زجاج القدرح ، إن
منظر وجهى بعد الخلافة يعجبنى ، كثيرا ما أفخر به ، وبعد أن
أخذت حماما سريعا وارتديت كل ما أملكه فى هذا العالم أصبحت
مستعدا كل الاستعداد من ناحية المظهر الخارجى لأدخل إلى أضخم
فندق فى المدينة كنت أعرف أن لينل سام يملك حقيبة سفر صغيرة
ما زالت بحالة جيدة كان قد استحصل عليها بطريقة مريبة ، فهو
ينتمى إلى طبقتى ويتمتع بنفس البحبوحة التى أتمتع بها غير أنه
يعمل عند أحد المراهبين الذين لا يفرضون فلسا واحدا إلا بعد أن
يأخذوا رها مقابله بساوى ٢٠ ضعفا قيمة الدين .

كان فى بادئ الأمر يتمتع ببعض المزايا وينعم بملامسة
الدولارات فى جيبه عندما كان يلف ويدور فى معاملاته وتصرفاته

غير أنه قرر ترك تلك الحياة واتباع طريق الهدى والأمانة ، أصبح خالي الوفاض مثلي يركض وراء الدولار والدولار يركض أمامه ، كان منذ مدة أعطاني مفتاح غرفته لأنه يعرف أنني لا أستعير شيئا أو أمد يدي على شيء إلا في الحالات القصوى ، ذهبت إلى الغرفة وأخذت الحقيبة دون أن آخذ شيئا غيرها ، على كل حال كان سام قليل الذوق ، وليس أنيقا في ملبسه كما أنه أقصر مني قامة فلم أكن أستطيع لبس رباط العنق فقط وهذا ما لست بحاجة إليه الآن ثم طفت على مجموعة من الرفاق يجب أن أحصل على شيء أضعه في الحقيبة حتى تبدر ثقيلة نوعا ما وقد فكرت أولا أن أضع فيها بعض الأشياء ذات الوزن كدليل التليفون مثلا أو بعض كتب أخرى كانت عندي لأعطيها بعض الثقل .

ولكني بعد طوافي ذاك استحصلت على قميص من هنا وسروال من هناك وبعض الملابس الأخرى أعارني إياها الرفاق بكل طيبة خاطر ، طبعاً لم يكن بوسعي الذهاب بالتاكسي الذي سيكلفني دولاراً أو نصف الدولار ، هذا مبلغ لا تتحمله ميزانيتي والمترو لا أطيعه أبداً إذن لم يبق أمامي سوى رجلى .. وقطعت شارع كولومبوس بخطى واسعة فالوقت لم يكن مناسباً لألتقي فيه بالرفاق أو بعضهم واتجهت نحو صديق سنزال بارك وست كما أن الوقت

كان جميلا قررت متابعة السير على قدمي ، ثم من يعرف ففد
ألتقى في ذلك المكان بحسناء من الحسنات فتهتم بي لقبول
دعوتها إلى بيتها ولكن هذا الأمر لم يحدث غير أن معنوياتي بقيت
كما هي من العلو والسمو إذ إنني كنت أهدف إلى الأعلى .

عبرت إذن شارع كولومبوس واتجهت نحو المكان الذي سأسميه
السير كلي تاورز هوتيل ، طبعاً إن الاسم مستعار فأنا لا أحب
الكذب وتقدمت بخطى لبقة ثابتة من بوابة الفندق التي يحرسها
بواب كأنه جنرال بلغاري وينظره منه أفهمته أن السير على الأقدام
رياضة لا بد منها وأنه أفضل بكثير من سيارة جكوار مع سائق
وأشرت إليه برأسي إشارة ديموقراطية وصعدت السلم الذي تغطيه
سجادة ناعمة تؤدي إلى موظف الاستقبال ، وبما أنه رفع رأسه
لينظر ابتدرته مع ابتسامة مشرقة بهذه الافتتاحية هالو . معي وقت
طويل أليس كذلك ؟ وطبعاً قال في نفسه إنه لم ير صورة وجهي
من قبل غير أنه يجوز أن يكون نسيني لطول المدة وثابتت كبف
الحال .

- أوه جيدة يا سيدي .

وقلت في نفسي لا بأس إنها بداية حسنة ، وقلت له بعتاب :

- لا تقل لي إنك نسيتني إنك مسر كولنز .

فرد على متلعثما : أوه طبعا لا يا مسر كولنز .

أومات له بجذ هذه المرة .

- إنني مسرور برؤيتك طبعا لقد حجزتم لي الغرفة .

وشعرت كأنه سينفجر باكيا أخشى ألا يكون ذلك قد تم :

- ليس لدينا أية غرفة فارغة .

وارتعبت في داخلي وقلت :

- كيف هذا لقد اتصلت بكم سكرتيرتي منذ أربعة أيام .

- كان قد امتلأ . ومن الجائز أنها نسيت أن تقول لك يا

سيدي .

وهزئت رأسي بأسى لأرفع كتفي متعاليا عن هذه التفاصيل ،

ثم قلت :

- يالها من فتاة . على كل حال ليس الأمر مهما لهذه الدرجة ،

هل أنت متأكد أنه لم تبقى أية غرفة ولو كانت صغيرة ، وسأكتفي

بشقة صغيرة بانتظار الحصول على ما هو أفضل .

- ولا غرفة صغيرة مستر كولتز .
- هل تظن أنى أجد مكانا فى والدورف أستوريا إنه ليس من
فنادقنا يا سيدى ولكن انتظر ..
- ولمعت نظراته قليلا وتابع :
- أظن أنى أستطيع إرسالك إلى فندق بارميتون بلمونت .
وكتب بعض الكلمات على بطاقة صغيرة وأعطانى إياها بعد
أن وضعها فى مغلف .
- أعط هذه للموظف جرمان إنه صديقى وسيهتم بأمرى إننا لا
نستطيع ترك زبائننا القدماء دون مساعدة .
- إنك لطيف جدا .
- ثم قلت له وأنا أرسل ابتسامة عريضة :
- انتظر منى قريبا مكاناة تسرك .
- وامتدت ابتسامته حتى وصلت إلى أذنيه ، وأشارت بحركة مرحة
إلى حمال للحقائب جاء إلى وأخذت الحقيبة منه واتجهت بخطى ثابتة
نحو الباب حيث وقفت قليلا وطلبت إلى البواب ليوقف لى سيارة
تاكسى وقلعت للسائق بعدم اكتراث ' بارميتون بلمونت ' كنت

مشغولا جدا لانتبه إلى البواب وأعطيه البقشيش وعلى كل حال كان سهل فيما إذا كنت صاحب أحد الفنادق الأكثر فخامة من هذا الفندق كانت أجرة السائق ٨٥ سنتا ، استكثرت أن أمنحه كبقشيش ٢٥ سنتا أخرى فذلك كثير على جدا ، لذلك قررت أن أعطيه دولارا كاملا يكل أنفة وكرياء كما لو أنني سأمنحه عشرة دولارات ومرت حيلتي ولم يبد أي احتجاج ، دخلت إلى الفندق وأعطيت البطاقة للموظف المختص .

ـ أوه مستر كولينز لقد اتصل بي مستر سيفرس قبل وصولك ، إن فندقنا على وشك الامتلاء .

وبعد أن قطب حاجبيه قليلا تابع :

ـ هل تناسبك غرفة بسبعة عشر دولار فقط ، وتظاهرت بالانزعاج قليلا غير أنني كرجل مهذب لطيف قبلت العرض رغم كونه غير مناسب لمقامي الرفيع وقلت :

ـ إذا لم يكن ما أريد فأرد ما يكون ..

ـ شكرا يا سيدي .

ألقيت له بنحية منى وأنا أتبع خطى حمال الحقائق نحو المصعد ،

إن سجادة الردهة كانت بسمك ٢٥ سم فقط ثم توقفت أمام مكان الصحف واشترت نيويسورك تايمس وفتحت صفحة البورصة وانهمكت بمطالعتها وأنا واقف في المصعد ، إن سجادة غرفتي لم تكن إلا بسماكة عشرة سنتيمترات غير أنها كانت تفرش بسهولة خمس غرف من تلك الغرف التي قضيت حياتي السابقة فيها ، وأكمل الخادم أعماله الروتينية كفتح الحفريات الباردة والساخنة ثم الخزائن وطلب مني بكل احترام وخشوع :

— هل يريد سيدي أن أفتح حقائبه لأرتب الملابس في الخزائن ؟ .

وطبعاً رفضت طلبه بكل لطف فأنا أعرف قيمة محتويات الحقيبة وقلت :

— ستعال البقشيش .

قلت له وأنا أبتسم :

— لا أحمل فكة .

— الآن شكراً سيدي هل أستطيع مساعدتك بشيء ما ؟

— اجلب لي كوباً من عصير الليمون مع الحامض وصحن

بفتبك .

قلت له بعد أن تظاهرت بالتفكير قليلا :

- وصحن سلطة .

- حاضر يا سيدى سأقول للمطبخ .

وقبل أن يخرج قلت له أيضا دون أن التفت إليه :

- لا ننسَ أيضا أن ترسل بعض الشراب وبانتظار تلك الوجبة

استلقيت على السرير الفاخر وأخذت أتأمل ذلك الرياش الملكي ، إن اللوحة الزيتية لوحدها كانت تساوى ثروة والشمعدان الفضى كان كذلك ولكن كفى أفكارا سيئة فالأمانة أساس كل احترام ، وجاء الطعام على طاولة متحركة أصغر بقليل من سيارة جاكوار ،

والغداء والشراب والبقيش سجل على اسمى فى الحساب ، وما إن خرج الخادم حتى ابتدأت بالتهام الطعام والشراب الآخرين .

وجلست بكل فرح وأمان ألتهم ما كان أمامى غير أنى ما لبثت أن شعرت بالوحدة والانقباض رغم ما يحيط بى ، فشاب غنى مثلى يجب أن يكون له أنيس وجليس ولم أسمح لنفسى

بالذهاب وقرع أبواب جيرانى كما كنت أفعل فيما مضى من حياتى السابقة كما أنى لم أكن مستعدا بعد للنزول إلى صالون الفندق فتذكرت بعض الرفاق .

وقلت إن يكونوا معى ليصفقوا لعمليتى .. لقد علمتنى تجاربي السابقة أن لا أثق بموظفات التليفون فقد يحدث أن تسمع اسم المحل أو المقهى الذى أريد الاتصال به أو لهجة الرفاق التى يكلفونى بها ويتضح أمرى وتكون الطامة الكبرى .

وقررت إذن الذهاب بنفسى إلى المدينة والبحث عن مجموعة من الأمكنة وطففت فى مقاهى شارع كولومبوس . فى بعض منها لم أكن أعرف أحدا ، وفى البعض الآخر الذين كنت أعرفهم لم يكونوا يرتقون بالمقام ، وبعد أن تناولت بعض الأنداح تركت عنوانى الجديد فى بعض المقاهى فيما إذا سأل أحد عنى .

وعدت إلى برجى العاجى كنت أجول بنظرى فى السماء عندما رن جرس التليفون فى غرفة السبعة عشرة دولارا لليلة الواحدة ، وأخذت السماعه وسمعت مسر كولتر وعرفت صوت ياداي موران ألد خصومى ، نعم هو نفسه .

قلت له بلطف :

- مسر موران يتكلم ابن القاضى موران

- أظن أن الحظ مراقب لقد استلمت طلبك وأنا مستعد لزيارتك
لمناقشة تلك القضية .

- أهلا وسهلا إني فى غرفة ٦٤٠ ها قد سيرافك الكولونيل
رانسفورد جون .

كان يقصد كونغ كونغ جون أحد الزملاء العتاة غير أن
باستطاعته أن يكون لطيفا خارج المعركة وبعد أن شحجج باداى
قليلا تابع :

- هل نسطحب زوجاتنا معنا فى حال انتهائنا من تلك
المناقشة .

وبما أننى أعلم أن الزوجة باداى هى فى فيفاس وكونغ كونغ
قد دفن زوجته الثانية منذ شهر أجبته ولماذا لا تتركونها فى
كولونى ونمر عليهما فيما بعد اتفقنا أن كولونى تلك لم تكن تشبه
بشئ كولونى الشارع ٦٠ بل هو لقب فقط لأحد أحظ المقاهى قرب
سكارتش بارك ، عندما عرفت أن الزميلين هما فى طريقهما إلى

أن زال انقباضى وشعرت بالارتياح وقتت وحلقت ذقنى وأخذت حماما خفيفا وطلبت على مشرفهما بعض السندويشات وزجاجة شراب ، فنحت الباب فجاءنى باداى بأدب بالغ كأنه فى بلاط أحد الأمراء .

كما أن كونغ كونغ انحنى وهو يمد يده مصافحا وما إن أغلقت الباب حتى أسرع بالسؤال كان بادى يغزل بعينه وهو يقول بصوت أجش :

- هل نتكلم ؟

- طبعا ما من أحد يسمنا .

- ما هذه الحكاية قل ما القضية .

كونغ كونغ ينظر إلى متسع الخدين .

وقلت له : اهدأ أيها الولد .

وسأل باداى :

- هل ربحت الجائزة الكبرى ؟

لم أضع رجلى فى ميدان السباحة منذ شهرين إنما لكما الشرف بمشاهدة رئيس كبير أثناء العمل .

وقال باداى :

- لقد شاهدتك قبل الآن .

وكانت الكلمات والكلام من نصيب المتفرج الدنىء :

- ماذا تقصد من هذا ؟

وأخبرتهم بالقضية وأخذ كونغ كونغ يرسل الكلمات فى الهواء

هكذا كان شأنه عندما يقترح ولكن باداى أوما قليلا قال :

- وكيف سيتوصل سيدى الدوق إلى دفع حسابه ؟

فقلت له : عندما نصل إليها نصلى عليها أو عندما تصل إليها

أنت وحدك تصلى عليها لأننى أنا لن أكون حاضرا .

وكف كونغ كونغ عن ضرب الهواء بقبضة يده ، ونظر إلى

بدهشة .

وقلت لباداى بعتاب :

- هل تركتك تقع قبل الآن ؟

فأجابنى بضمضة مبهمه . ولكنى طأنته قائلا :

- كن واقعبا إنك لست سوى ضيفى .

وقال باداي :

- باستطاعتهم أن يتهمونى بمرافقة الأشرار .

ولاحظته هنا ينظر بطرف عينه إلى الزجاجة والسندويتش .

وعرفت أنه وافق وعادت الابتسامة إلى شفתי كونغ كونغ وأخذ
يلكم الريح وسأل باداي

- قبل أن تهتم بالأشياء الأخرى ما هو المخطط ؟

ليس عندي أى مخطط ولا أية فكرة سيئة فى الموضوع إنما نحن
هنا فى رحلة استجمام وقد أدعوكما إلى المسرح والزيارة بمجانبة
طبعاً .

وسأل كونغ كونغ :

- ومن يحب أن يذهب إلى المسرح يترك هذا النعيم مثل كثير من
الناس المثقفين .

قال باداي :

- صح .

وتكلم كونغ كونغ :

- فهتت الآن هات الدراهم . هل تعرف أن تخرس لأجل هذه
لقد تخطمت جمجتك فى المرة الأخيرة . سأحاول الحصول على
أربعة تذاكر ولكن يجب أولا التحقيق من التمثيلية . انتظر .

وأخذت التليفون وطلبت مكتب المدير وردت على امرأة وقدمت
نفسى . وبعد برهة أعطونى مساعد المدير . قلت سيسأل عنى
بعض الأصدقاء من ضمنهم النائب كونغ واليرنس ياكافارجا وذلك
فى الساعة الحادية عشر ، ولكنى تذكرت الآن أنى مرتبط بموعد
آخر وسأضطر للذهاب إلى المسرح ولا أعود قبل الثانية عشرة ،
أرجو أن نستقبلوها أثناء غيابى وتحضروا لهم مائدة وتسجلوها
على حسابى .

وأسرع الرجل بالموافقة على طلبى بكل إجلال واحترام كما
وأنى قبل أن أقفل الخط قلت له : احجز إلى أربع تذاكر فى
المسرح .

- سمعا وطاعة .

أجابنى المدير وأخذت الرفاق بالمحادثة وقلت :

- لمن معه الدولارات منكما .

قال باداى : فى الوقت الحاضر لا أملك شيئا صغير .

وأجابنى الملاك السابق :

- أما أنا فلست غنيا بخيرات هذه الدنانير إنى أعرف أنى لا أريد المال لدفع الحساب أبها الأبله إنما يجب أن أحتاط للأمر ، فقد لا يقبلون إمضائى لشراء تذاكر للمسرح ، وسأضطر للدفع حينذاك أما إذا قبلوا إمضائى فالمشكلة تزول إذن ، هذه عشرة دولارات .

قال باداى :

- وهذه عشرة أخرى كنت أحتفظ بها لأجل الرقص .

ورن جرس التليفون وابتمت بعد أن سمعت المكالمه .

التذاكر بانتظارنا أبها الأسياد إن الساعة الآن هى السادسة تماما سنذهب إلى الصالون لتمضية بعض الوقت وقد نلتقى هباك يصيد ضخم . خرجت مرة مع إحدى النساء ؟

آه

قال كونغ كونغ وهو حالم النظرات : يجب أن تنتبها لهذه الملاحظة .

قلت لهما طالما نحن فى هذا الفندق يجب أن نتصرفا تصرفا

لاشقا ، وغنغم كونغ كونغ :

- يجب ألا تورق البعض من النافذة كما فعلنا فى شيكاغو فى
المرّة السابقة أليس كذلك ؟

تهقه كونغ كونغ .

وقلت لهما بلهجة الأمر :

- كما يجب أن يسيطر التهذيب وتعم اللباقة يجب أن تعاملنا
القراخ كما تعاملنا السيدات الشريفات حتى ولو ظهرن بعض
الشراسة انتبها جيدا العراك ممنوع معنا باتا هل فهمتما ؟

فقال باداى : إذا لم يشرنا أحد حتى ولو أثاروكما ممنوع .

وبعد أن وضع باداى الدجاجة على الطاولة قال :

- اتفقنا أليس كذلك يا كونغ كونغ ؟

لست أحمق لهذه الدرجة من الذى كسر المرأة ومن أجابه باداى
كنا لم نزل حيثنذ من أبناء الشارع أما الآن فقد أصبحنا من أبناء
الذوات لنترقى الماضى .

وتوجهنا نحو المصعد وألقيت نظرة على رفيقى ، لا بأس بهما
فمظهرهما يدل على شيء من علو المركز ، كانت ياقة قميص

باداى السوداء وربطة عنقه الصفراء متناقضة قليلا غير أن منظره كان يوحى بمنظر أولئك المربيين للحيوانات الأغنياء أو كأحد أصحاب المناجم ، أما كونغ كونغ فكان من الصعب تقديمه فقد تظنه مليونير فى رحلة استجمام بشرط ألا يفتح فمه .

وعلى كل حال يوجد كثير من المليارديرات الذين لهم هيكل الملاكين ، سألنا خادم المصعد عن طريق الصالون فأجابنا بأنه يوجد ثلاثة فإذا كان الأسياد يريدون مناقشة الأعمال فى جر هادئ أنصحكم أن تذهبوا إلى صالة أو كسفورد وهناك لا يقبل إلا الرجال فقط وشعرت أن قبضتى كونغ كونغ تتحركا لقفل فم ذاك الوغد أما باداى فقد ظهر كأنه يبلع سمكة نيئة وكنت ضحكة رغما عنى وقلت للخادم :

— كلا ، لقد تناقشنا كثيرا فى الأعمال إذ يوجد صالون سومبادور فباستطاعتكم تناول الطعام والشراب كما يحلو لكم . هل يقبل السيدات هناك ؟

قال كونغ كونغ فغمغم كولونل كونل .

قلت له وأنا أشد على أسانى غيظا وأصوب له نظرة قتالة :

- أنت تحب المزاح كثيرا هناك .

أجاب الموظف وهو يلقي نظرة ذات معنى على كونغ :

- ولكن إذا كنتم تحبون الجو المرح فما عليكم إلا الذهاب إلى صالة الروضة .

وبعد أن شكرته ذهبت إلى مكتب الاستقبال وأخذت التذاكر واتجهنا نحو الصالة الأخيرة ورأيت كونغ يرتعش قليلا وهو يمر أمام العين الكهربائية للباب إذ إن تلك العين ما إن تشعر بشيء معدنى حتى تبدأ بإرسال الإشارات ..

كانت الصالة من أفخم ما فى الدنيا ورغم وجود حوالى عشرين شخصا فالمدوء التام كان مسيطرا حتى إن الإبرة يسمع رنينها .. هذا هو الجو المرح .

قال باداى : أما إذا قلت متحف الشمع فنعم .

كان ثلاثة من الرجال يقفون وراء حاجز الشراب ينتظرون أوامر الزبائن وجلسا على ثلاثة مقاعد جلدية وتقدم غونا واحد منهم كأنه تمثال من الشمع واغنى حتى كاد أنفه يلاصق أنفى وقال بخشوع :

- نعم يا سيدى .

وطلبت كأسا بينما كان الحديث التالى يدور فيما بيننا وأنا
أخاطب باداى أود التخلص من تلك الأسهم وفهم باداى رأسا
وتساقطت هذه الكلمات أمامه هل تشتري أسهم إنها تعطى ٤
بالمائة أنا مستعد لتركها لك بآخر الأسعار كانت عبثا كونغ كونغ
تبيعنا الواحد بعد الآخر كشاهد مباراة كرة الطاولة

وتابع باداى إذا كنت تريد شراء كل الأسهم فإننى أطلب ٤٠
ألف دولار فقط يعنى ما يوازى ٤٠ مليون فرنك فى البورصة قلت له
عندما مر من أمامى رجل البار الفرنسى الذى لا يفهم بلغة
الدولار وبعد أن انتهينا من شرب أقداحنا قلت لرجل البار بعدم
اكتراث ودون أن ألتفت إليه :

- إننى فى الغرفة ٦٤٠ سجل الطلب على حسابها .

- حاضر يا سيدى .

أجابنى وهو يأخذ دفتر الفواتير من جيبه . وأخذ الكولونيل
وابن القاضى ينظران وأنا أوقع على الحساب وشعرت أن الوقت قد
حان لترك تلك الصالة الباردة وأخذتهما وخرجت فى الخارج وقد
ناديت لسيارة تاكسى وتوجهنا نحو المسرح .

وبعد أن أعطيت تذكرتين لبادای واحتفظت باثنين وقف كل واحد منا على جانب من الباب بينما كونغ كونغ وقف في الجهة المقابلة للشارع ولم تمض ربع ساعة حتى بيعت التذاكر بـ ١٣,٥ دولار للتذكرة الواحدة وبادای باع تذاكره الواحدة بـ ٢٢ دولار واحتفظت بالعشرين دولارا التي أخذتها منهما في الفندق كريح لي لأنني أنا كنت صاحب الفكرة وأنا أتحمل الأخطار ووضعت المبلغ في خزانتي بينما بقي معي ٩ دولارات لأصرفها .

- والآن ما رأى الشباب في أن نعود إلى صالة الفندق طبعاً مع بعض الدجاجات الرفيقات .

لم أكن أريد كسر خاطر أحد أصدقائي فكنت أعرف جيداً بأن هذا الصنف لا يمكنه الدخول إلى ذلك المكان حتى ولو حاولن التظاهر بالعظمة والرزانة

وقلت لهما بلطف :

- لسنا في شارع ٧٢ لنعُد إلى الفندق ونحاول بحالسة الطبقة الأرستقراطية .

وقال كونغ كونغ : لا تعضب مني إسي أفضل الذهاب لملاقاة شايلا الكبير إنك لست طموحاً فأنت تفوت فرصتك الكبيرة هذه

أما أنا سأبحث عن إحدى الوريقات .

وقال باداى : إذن ستلحق بك فيما بعد .

فحييته .. قد يجوز ولكن اصغ لى جيدا سأترك المكان غدا صباحا لذلك سأحتاج إليك اتصل بالفندق غدا فى الساعة السابعة تماما وقل بأنك لا تريد إزعاجى وقل لئائب المدير بأن لى موعدا مع رئيس مجلس إدارة السكك الحديدية فى الساعة الثامنة ويجب أن اصطحب معى كل الأوراق والمستندات حتى أتمكن من سحب الحقيبة معى . أفهمت ؟ .

وردد باداى الأمثلة بكل إتقان .

عدت إلى الفندق وتناولت بعض الأقداح . كانت الصالة قد ازدحمت الآن ولم أستطع الخطوة حتى بالنفاة واحدة من أولئك الحسناءات فكن جمعا مرافقات وشعرت أن الحق مع باداى وكونغ كونغ وندمت على عدم ذهابى معهما وذهبت إلى غرفتى أقضى بقية نوم ساعتين غير أسمى عندما فتحت عيني كان النهار قد طلع وأخذت التليفون وسألت عما إذا كان أحد قد اتصل بى وجاء الجواب بالنفى . وشعرت بكركة فى معدتى لم أأخذ على باداى وكونغ كونغ فقد يكونان مثلى قد تأخرا فى النوم وحلقت ذقنى

بسرعة وغسلت وجهي وأنا أسأل نفسي عن طريق للخروج بها من الفندق وإذا بالباب يقرع ونظرت من النافذة كنت في الطابق السادس ومشطت شعري وسويت ربطة عنقي وقلت متظاهرا بعدم الاكتراث من الطارق نائب مدير الفندق وألقيت نظرة ثانية من النافذة إن القفز مستحيل لا يوجد سلم ولا أي شيء وسلمت أمرى لله وفنحت الباب ووجدت أمامي رجلين الأول قصير القامة يرتدى بدلة غامقة عرفته نائب المدير الثاني كالجسر تماما له صدر كصدر العجل ولا يبدو عليه شيء إلا أنه شقى كبير . نعم ماذا تريدان ؟ ودخلا إلى الغرفة قبل أن أدعوها وأفضل الشقى الباب وراءه رأسا لقد نسينا يا سيدي أن نأخذ توقيعك على بطاقة الاعتماد هذه .

قال الرجل القصير ذلك وهو يقدم لى البطاقة .

بطاقة الاعتماد وبما أنى لم أكن في وعيى الكافى لمجابهة ذلك العجل الواقف أمامى بلأأت للمراوغة كسبا للوقت . بانتظار الوحى أو معجزة من المعجزات وتابعت .

- ولماذا ؟

- إن حسابك أصبح مرتفعا جدا يا مسز كولنر .

قال القصير ذلك وهو يمسك بالبطافة .

فقلت له : ألم تأتني أية معايدة أو برقية .

وهز برأسه نافيا .

يا للمصيبة ... قلت لهم أن يرسلوا لى هذا الصباح مبلغا كبيرا
من المال لم يصل أى مبلغ ؟ هذا مؤسف حقا . أنا أعرف كيف
أتصرف مع المسئولين عن هذا التأخير .

أما بالنسبة لكمما فلا خوف عليكمما منى إنكما تقومان
بواجبكما ، وهذا ما أقدره جيدا فى كل موظف إنى أعرف أن
الحق على موظفى أنا ألم يأتنى أى من النائب كونغ أو الرئيسيس
يا كافارجا .

— إن اسم النائب لا يوجد فى الدليل البتة كما وأن ذلك
الرئيسيس أيضا لم نجد له أى عنوان فى دليل المجتمع الراقى .

يامستر هذه هى الفاتورة .

ومرت فى مخيلتى السجون الآتية أسماؤها

واندلو أماجدون مومسديت وأخذت البطافة ووقعت إمضاء مهما
بذيلها ماذا يعنى هذا أيها السيد .

اسمع ليس لدى رصيد فى البنك ولا اعتماده لذلك لا أرى أية فائدة من تعبئة هذه البطاقة بعد أن أرسل تنهيدة قصيرة .
قال هذا ما كنت أنتظره .

وحرك العجل بجانبه ونفخ صدره ، فقلت له قبل أن تذهب لنداء البوليس هل أقول لكم شيئا اسم نونى بلمونت وبعد أن تبادلنا ابتسامة ذات مغزى قال الرجل القعيد : إن الجميع يعلمون أن السيد بلمونت هو ابن صاحب الفندق غير أن الحيلة لا تمر علينا آه كلا إنكم تجهلون طبعاً بأنى أنا الذى يدير أعماله فى البورصة إذ تأتى أوقات أقرضه حوالى خمسة آلاف دولار إنه طبعاً جدير بالثقة أكثر منك .

وتقدم العجل نحوى بعد إشارة من الرجل القصير القائمة وفكرت فى نفسى طالما أنت فى الفندق فأنا الفاشل طبعاً . أما إذا توصلت للخروج فقد تسخ لى الفرصة .

وجاءنى الوحي وقلت :

انتظر .. إنى لم أرتكب جريمة كما أعلم ومن يقول لكم إنى لا أقدر على الدفع ؟

هل تقدر ؟

طبعاً .. صحيح إنى لا أملك رصيда فى البنك .

وهنا أخرجت رزمة من المفاتيح ولكن لدى خزانة فى مكان ما
بإستطاعتكما توصيلى الآن إذا كنتما لا تصدقانى غير أنى لن
أتاخر بإقامة دعوى تحصيل شرف .

وأين هى تلك الخزانة ؟

وذكرت لهما اسم أحد البنوك قرب سنزال بارك المكان الذى
يكون لحاميه الحظ الكبير للهروب .

وقال ناشب المدير بعد زفرة قصيرة :

- اتفقنا يا ميتش .

رافقه بالتاكسى إلى هناك أظن أننا سندفع أجرة السيارة أيضا
واطمانت قليلا الآن لتحقيق الخروج من الفندق وفى الخارج
سيكون لكل محاولة حديث . خرجت أمامه كما لو أنى أقوم بآخر
رحلة لى فى هذه الدنيا المباركة وأخذنا تاكسى . كان بإستطاعتى
الهرب غير أنى لاحظت ' ميتش ' يضع يده دائما فى جيبه ولم
يخرجها أبدا ، لذلك تراجعت عن فكرتى بعد برهة ، طلبت الإذن

منه للذهاب لشراء علبة سجائر فما كان منه إلا أن قدم لي
سيجارة دون أن يكلمني ، ثم جربت حيلة أخرى ، هذه المرة لا
يمكن التأخر يجب أن أذهب لقضاء حاجة أريد الذهاب إلى
التواليت . أظن أنك لا تريد الدخول معي .

وقال لي : إننا توأمان ملتصقان سياميان . نعم سأنتظرك على
الباب .

وأوقف السيارة أمام أحد المقاهي .

وفعل كما قال دون أن يسحب يده من جيبه ، عندما عدنا إلى
السيارة قلت له :

- على كل حال لا أظن أنك تقتل زميلا لك أنت زميل لي أيها
الوعد الذي لا يصلح لشيء .

الوداع منك إذن أيتها الحياة قلت في نفسي إذا حاولت معركة
معه فمئة بالمئة سأخرج منها مكسر الأضلاع محطم الأنف .
والهرب أصبح مستحيلا كما يبدو أننا وصلنا إلى نهاية الرحلة .
وقلت له :

- عندي عرض مهم أحب أن أعرضه عليك إذا تركتني أهرب

أعدك أن أسدد ديونى للفندق وأدفع لك لدى الإمكانيات لذلك .
فما رأيك ؟ هل صحيح أنك تملك خزانة ؟
- هذه هى خزانتي .

قلت له وأنا أخرج العشرين دولارا من كعب حذائى . إنها
دولارات مزيفة .

كلا أبدا صار لى أشهر عديدة لم أتعاط تلك الأعمال . دعنى
أنظر

بعد أن تفحص الأوراق جيدا وضعها فى جيبه وقال :
- إنها صحيحة . عرضك لا يعجبني هيا أيها السائق إلى مركز
الشرطة .

وضعت إزاء هذه وقلت : أنت مخادع لثيم إذن . لا تدعى
للزمانة زماما غير أن السائق لم يحول سيره بل بقى سائرا إلى
الأمام . ماذا

قال العجل هل رأيت شيئا ؟
وناوله خمسة دولارات .

ليس فى شيء إن السيارة لم تطاوعنى . قال له هذا وهو يحول

سيره ونظر إلى نظرة إشفاق إنسى لم أحقد على السائق على كل حال لست مسجلا على لائحة أصدقائه وليس هو سوى متفرج . لدى برىء قبل أن يخرس لسانه مقابل حصة من الغنيمة ولكن الرجل الضخم الذى إلى جانبيه نظر إلى مليا وقال : ملعون .. ملعون كبير .

وثار دمي فى عروقتى سأحرم من الفتيات والسباق والشراب وكل شيء حلوا فى هذه الدنيا . وفكرت معركة ألم أقل أولا إنسى أريد قفز درجات السلم دفعة لأرى ماذا فى الأعلى لأرى ماذا يوجد خارج حافة السلّة ويكون ما يكون . بعدها لو كسرت رجلى أو حطمت عنقى . ولكنى تراجعت بعد أن نظرت إلى نفسى ونظرت إلى العجل بجانبى مليا .. إنسى لم أكن من عياره أبدا فهو كالمدفع بقربى وأنا كالبندقية وسكت . وتراجعت فالذى جعلنى أشعر بالمرض هو وقوعى بين يدي هذه العجل وقلت له بهدوء :

إذا أيها العم لقد رجحت أنت إنسى أعترف لك بفشلى أهشاك وأضاف وهو يتفجر ضاحكا وأخذت مكانة أيضا اسمع معك ٢٠ دولارا أخرى هل تريد أن تؤذى لى هذه الخدمة مقابل ذلك ؟

ما هي ؟

لدى حقيبة في الفندق إنها ليست لي بل هي لصديق اسمه ليتل سام . مساعدة فقط ليستردها أظن أنك ستكون شهما قليلا من هذه الناحية ومقابل ذلك لا أذكر العشرين دولارا أمام أحد لكن لك ما شئت .

قال بلهجة ساخرة غير أنى شعرت بأنه يفضل سكوتى بشأن العشرين دولارا فكرة ميتش قلت له إنك لطيف للغاية .

- لا تبالغ يا عزيزى .

أجابنى الرجل الضخم :

- عمل مقابل عمل سأعطيك اسمه وعنوانه .

قل له من أنت وماذا جرى لي .

أجل سأفعل ذلك .

وارغمت له وجلست قليلا لأنى اطمأننت على حقيبة ليتل وفكرت إن هذا الصديق سيجد طريقة ليدفع كفالة خروجى من السجن أو يستطيع أن يدفع العجل على السلم وينقضى .

وهكذا تحررت وسررت لفكرتى هذه بانتظار أن أجد فكرة

أحسن منها . وأنا أنظر إليه نظرات متوسلة تقول :

- دعني أهرب ...

جو ما کای

ألفريد هيتشكوك ALFRED HITCHCOCK



العالمية للكتب والنشر

أكثر
الروايات
مبيعا
في العالم

